التعريف
بـ
حزب الدعوة الإسلامية

حزب الدعوة الإسلامية..
منهجاً .. أهدافاً.. ورؤية مستقبلية..

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بحزب الدعوة الإسلامية

((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) سورة يوسف - 108

المقدمة

يكتسب الحديث، أو التعريف بحزب الدعوة الإسلامية أهمية خاصة؛ كون مؤسِّسه قمة من قمم العلم والفكر، وكونه مؤسسة اعتملت فيها عناصر التكامل، ووحدة النظرة إلى الوطن دونما تجزئة، أو توظيف باتجاه مصلحة ضيّقة، ولا يكتمل الحديث عن حزب الدعوة من دون الاقتراب من تحديد أنماط علاقته على مستوى صناعة الإنسان وواقعه، وتغيير مجرى حركة المجتمع صوب ما اختطته الإرادة الإلهية.

ودائماً كان الباعث موجوداً في الحديث عن الدعوة ودعاتها، لكنه يتغيّر، ويتجدّد من زمن إلى آخر، وتتغير معه صورته وقوّته، وذلك لشدة الحراك والحركية فيه.

ففي المضمون الحركي وعلى المستوى النظري كان يتحرّك الدعاة على هدي نظرية تضبط، أو توازن، أو تفصل بين مجالات العمل وميادينه كافة؛ ليكشف هذا المضمون عن قواعد وأصول لا تحيد عنها، أو تخرج عليها، وأما المضمون العملي (الحَراكي) للدعوة، فيكشف عن جوهر العلاقة بين مدى استيعاب الإسلام فكراً

ومنهج حياة بمفاهيمه الإنسانية، وبين حالة التطبيق وجعلها هدفاً يتحرك الدعاة نحو تحقيقه.

الدعوة الإسلامية حزب يطفو على حمولة فكرية وثروة معنوية هائلة، ويؤمن بالإسلام عقيدة ومنهجاً وحلاً لكل الأزمات المحلية وحتى العالمية، ويعتبر بانبثاقه من رحم حركة الإسلام في العراق حيث الحضارة والتمثُّل الإنسانيّ، ويتعاطى مع الواقع بما يمليه عليه منهج الوسطية الذي اختطه ربّ العزة:

((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)).

ويؤمن بالتغيير السلمي، وعلى الناظر يتعيّن النظر بالتمييز بين مقامين: مقام الدولة كهدف، وعمرانها كغاية، ومقام يتصل بالمنظومة العقدية كحتمية اجتماعية - سياسية.

الكتاب الذي بين يديك قارئي الكريم هو التعريف بحزب الدعوة الإسلامية، وقد كتبه الدكتور إبراهيم الجعفري بيراعه؛ ليكون مادة لفهم الدعوة حزباً، والدعوة عملاً دونما تمايز في جهة المقاصد والوظيفة، لتكون للدعوة مدخلية حاسمة في حفظ حق الإنسان في المعتقد والمواطنة على أساس من العدل.

المدخل

يحتل التعريف بأي كيان من الكيانات الحركية محل الصدارة في ثقافة المنتسبين إليه، ومن خلالهم إلى المهتمين بالشأن الاجتماعي كافة؛ من منطلق حرصهم على تحديد هُويته، وأهدافه، ومعالم خطّه، وآليات قراراته.. هذا في الظرف الاعتيادي، أما في الظروف الاستثنائية التي تمرّ فيها أي من الحركات، وما تتعرّض فيها إلى التشويه والطعن فإن مسألة التعريف تكون أكثر ضرورة، وحزب الدعوة الإسلامية الذي مضى على تشكيله سبعة وأربعون عاماً اقترن اسمه بثقافة الإسلام، والعمل من أجله، والتضحية في سبيله؛ فلم يعُد أمره خافياً على عموم أبناء الأمة الإسلامية فضلاً عن أبناء شعبنا العراقي، لكنّ تلك المسيرة المضمَّخة بالدم، والموشَّحة بالتحدي واجهت تعتيماً إعلامياً استهدف طمس معالمها، وتشويه صورتها بكل الأساليب، وقد تولّى صدام المجرم بكل ما أوتي من إمكانات إعلامية، وتنسيق مخابراتي مع دوائر التجسّس في العالم تشويه صورة الدعوة الإسلامية، وسعى إلى إظهارها بمظهر الإرهاب، والتخلف، والارتباط بالأجنبي؛ محاولة لعزلها عن أبناء الأمة بقطاعاتها الواسعة حتى إن الكثير من الأنظمة في العالم بل حتى بعض القنوات الإعلامية تقرأ المعارضة لصدام عموماً، والدعوة الإسلامية خاصة من خلال الملفات التي كتبتها أجهزة صدام، والتي أدخلت فيها المزيد من الأكاذيب والافتراءات؛ مما يعني أنّ هذه القراءات محكومة بخلفيات عقلية صدام المشوّهة للحقائق. كل ذلك يستدعي إلقاء الضوء على الحزب من حيث نشأته، وطبيعة أهدافه، وهيكليته، وآلية صناعة القرار فيه، وغيرها.

التسمية

لقد سُمِّي الحزب باسم (الدعوة الإسلامية)؛ استلهاماً من الغاية التي يتوخّاها الحزب، ومن طبيعة الأهداف التي يريد تحقيقها، والمسؤولية المَنويّ تحمُّلها، والمعايير التي تتحكم فيه.. الدعوة للإسلام هي الهدف، أما الحزب فهو وسيلة تتلاءم مع طبيعة

الظروف التي تحيطه، وعلى ضوء هذا الفهم تتحدّد الهوية الإسلامية له، ويرتسم منهج المنخرطين في صفوفه حتى إنّ الدعوة للإسلام عادت صبغة للداعية في كل ما يصدر عنه، ومعياراً يتحدّد من خلاله سلوكه مع الناس بمختلف شرائحهم وبتفاوت درجاتهم في الالتزام، ولاعجب أن يتعامل الدُعاة مع بعض المكروهات وكأنها محرّمة، ومع بعض المستحبات وكأنها واجبة عملاً بمبدأ "التقييد المنهجي"[1] الذي يفرض على الداعية قيوداً تتطلبها طبيعة الدعوة إلى الله (عز وجل)، فلم يكن مزاحه، وأماكن تردُّده، وطبيعة علاقاته، واختصاصه بعيداً عن عمل الدعوة وخارجاً عمّا يخدمها؛ فالحزب وكل المنتمين إليه لم يتركوا فرصة إلا ووظّفوها لخدمة الدين، والدعوة إلى قيمه، وأحكام شريعته؛ مما يعني أنّ الدعوة شعار في الحزب، وسلوك عمليّ، وصمت دَعويّ، كلٌ بحسب ما تقتضيه مهمة الدعوة إلى الله (عز وجل).

ظروف النشأة

في ظروف بالغة التعقيد من حيث الخطوة والجهل، والتحدّي من قبل أعداء الإسلام، وما كانت عليه الأمة التي غُيّب عنها الفكر الإسلامي حيث التوحّل في وهدة التناقضات التي امتزجت فيها الكثير من العادات والتقاليد التي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة بقي المجتمع بعيداً كل البُعد عن جوهر الإسلام عقيدةً وأخلاقاً وشريعة على الرغم من كل ما يتمتع به الإسلام من الكمال والواقعية، وما تتحلى به الأمة من اعتزاز بتاريخها وتراثها الحضاري، وما يربطها به من عواطف، وظل الفكر حبيس الحوزة العلمية، وإن تجاوزها فبحدود ضيّقة شملت الشرائح المتاخمة لها، أمّا عموم أبناء الأمة فقد شهد التفاف التيارات السياسية المختلفة في ساحته ماخلا التيار الإسلامي، وكان من المتوقَّع أن تتقاسم تلك التيارات أبناء المسلمين، ويبقى الإسلام فكراً ومنهجاً وكياناً هو الوحيد الذي أُبعِد عن الواقع؛ فأصبحت الأمة تعاني من الغربة؛ وهو ما تطلّب أن ينبري لردم هذه الثغرة مَن هو بمستوى العبقرية، وكانت الأمة عامة وفي العراق خاصة على موعد مع بزوغ نجم السيد محمد باقر الصدر المفكر الإسلامي الفذ والمرجع الكبير والمُنظّر الاجتماعيّ اللامع، وسرعان ما ترك بصماته المباركة في كتابة (فلسفتنا) و(اقتصادنا)، وما كان ينوي من كتابة (مجتمعنا)، لولا وعد الله (تعالى) الذي قضى باستشهاده على يد طاغية بغداد المقبور، وقد بادر مع ثلة من العلماء والمفكرين إلى تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، واختار له اسمه، وكتب له أسسه ومنهجه، ونظّر لمراحل عمله كان ذلك بتاريخ 17/ ربيع الأول/1377 هـ الموافق 12/ تشرين الأول/ 1957م ولم يمضِ مزيد من الوقت حتى انتشر الحزب في أوساط المثقفين ليضّم خيرة أبناء المسلمين ممن تواجد في الجامعات، والحوزة العلمية، والدوائر الحكومية، والمدارس، وفي أوساط الكَسَبة، وغيرهم.

[1] مصطلح يشير إلى تقيّد الدعاة بالسنن، والقيم التي ترتبط بسلوكهم وعملهم الدعوي بلا تسامح، وبشكل طوعي؛ لخدمة الإسلام، وإبقاء الدُعاة والدعوة في الموقع المناسب.

بدأت معالم المجتمع بالتبدُّل إلى جانب المنبر الإسلامي الذي أخذ دوره في بث المفاهيم، وارتسمت الشعائر الدينية بما يعكس النظرة الإسلامية الواعية، والتي تجسّد رسالة الإسلام، وتحفّز الناس على العمل على تحقيق أهدافه، واضطرد العمل من أجل الإسلام، وباضطراده تعمّق الوعي، وانتشرت معالم التغيير في كل أرجاء المجتمع كظاهرة الحجاب في أوساط الطالبات والموظفات، وظاهرة صلوات الجماعة في أوساط الجامعة، وتردّد الشباب على العتبات المقدسة، واقتحامهم مجالات الاختصاص المختلفة كالطب والهندسة والتعليم والاقتصاد وباقي المجالات.

طبيعة أهداف الدعوة الإسلامية

حدّدت الدعوة الإسلامية أهدافها على ضوء مسؤوليتها عن تحكيم الشريعة الإسلامية وأسلمة الواقع؛ مما حدا بها لأن تضع أهدافها العامة، والتفصيلية الآنية والمستقبلية على هدي الإسلام، والتي تنتظم كلها حول الغاية الكبرى التي نذرت نفسها من أجلها وهي (رضوان الله تعالى)، وكانت الدعوة والحالة هذه أمام مسؤولية التنظير والتطبيق حتى تستحثّ أبناء الأمة على الاقتداء، وبدأت عملية الأسلمة بالتطبيق والانتشار في الكثير من المجالات تشقّ طريقها إلى العلن: كأسلمة العلاقة الزوجية وأجواء الأسرة عموماً والسوق في التعامل، والتعاطي في الاختصاصات الأكاديمية كالتعليم والأدب والشعر والفن والسياحة وغيرها.

أخذت تنحسر الكثير من العادات والتقاليد التي تتنافى مع الإسلام ممّا تخلّل الأوساط الاجتماعية والقبلية، بما يرتبط بالمهور الغالية في الزواج، وما يشوبها من شوائب المفارقات والعادات الجاهلية، كالانغلاق في التصاهر على أفراد القبيلة، وإشاعة بدعة "النهوة" وغيرها، وحلّ محلّها ما يُحيي السنّة، ويبث الحياة في البدن الاجتماعي، ولاحت على وجوه الشباب تباشير مستقبل زاهر يَعِدُ بحمل الإسلام من موقع الكفاءة والاختصاص والتفاني، واندحرت مقولة: إنّ (الدين والتدين من مقولة الماضي)، و(من مقترنات الشيخوخة)، أو مقولة (فصل الدين عن الحياة)، أو (فصل الدين عن السياسة)؛ مما يعني عجز الإسلام عن مواكبة الحياة فضلاً عن التصدّي لتطويرها، ومسابقة الزمن في إثرائها.

وهكذا انهمكت الدعوة الإسلامية في تحقيق أهدافها المقدسة والتي تتلخص بما يلي:

1. تطبيق الإسلام في مجال بناء الشخصية والمجتمع وفق الشريعة السمحة.
2. إبراز دور الإسلام في المجال السياسي طبقاً لما زخر به القرآن الكريم والسنة المطهّرة.
3. العمل على إعادة الإسلام إلى المجال السياسي الذي انحسر عنه سواء على صعيد المعارضة أم الحكم.

4. تقديم أطروحات ومشاريع إسلامية اجتماعية مختلفة تتكفل بإعادة بناء المجتمع على ضوئها.
5. إعادة المرأة إلى ما منحها الإسلام من موقع في التربية والبناء في المجالات الاجتماعية المختلفة.
6. التعامل مع الجامعات على أنها مؤسسات عملية، ومصدر إثراء معرفي خلّاق متمّم لبقية حلقات المعرفة في الحوزة العلمية والنوادي الثقافية والمعرفية الأخرى، وردم الثغرة بين الجامعة والحوزة من جانب، وما بينهما والمجالات الاجتماعية الأخرى من جانب آخر.
7. إحياء الشعائر الإسلامية عامة والحسينية خاصة بما يقوّي دعائم الإسلام، ويشيّد حاضره على هدي السيرة المطهّرة؛ فكانت مواكب الطلبة مصداقاً حيّاً لها.
8. العمل على إظهار الوجه المُشرق لمذهب أهل البيت (ع)، وتمثيله للإسلام بجوانبه العقيدية والأخلاقية والفقهية والاجتماعية كافة.
9. التعاطي مع التعدّد المذهبي على أساس المشتركات الإسلامية المستوحاة من القرآن الكريم والسنة المطهَّرة.
10. الأداء الإنساني مع التعدّديّات الدينية والقومية والسياسية بما يعكس الوجه المتحضّر للإسلام.
11. الانفتاح على العالم والأسرة الدولية بما يحقق الإثراء في الفكر والقيم وما يتيح للثورة المعرفية الإسلامية أن تشقّ طريقها إلى العالم أجمع.
12. إعادة بناء المجتمع على أساس القيم الحقة، وقواعد العلم، والعدل، والمحبّة.
13. اعتماد العلم في بناء المجتمع المتحضّر والحجّة العلمية في الحوار انطلاقاً من الآية الشريفة: ((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))[2]

الشرعية في العمل الحزبي

تستمد الدعوة الإسلامية شرعيتها في العمل الحزبي من مجموعة مبرّرات:

أولها المبرّر المستوحى من القرآن الكريم: **((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))**[3]، **((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))**[4]، **((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))**[5]، **((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ**

---

[2] سورة البقرة – 111، سورة النمل -64
[3] سورة الملك – 22.
[4] سورة يوسف - 108
[5] سورة النحل – 125.

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[6]، ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[7]

التسلسل الهرميّ أو التقيّة

ثاني المبرّرات مستمَد من السنة المطهَّرة، قال رسول الله (ص): (إذا كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم)، وقال أمير المؤمنين(ع): (أوصيكم بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم)، (الإيمان كالسُلّم يرتقي عليه المؤمن مرقاة بعد مرقاة، كان سلمان في العاشرة وكان أبو ذر في التاسعة، وكان المقداد في الثامنة...)، وحيث أثيرت بوجه العمل الحزبي عموماً والدعوة خاصة شبهة الحرمة لسرّية القيادة فإن الدعوة اعتمدت السرّية من وحي السيرة المطهّرة.. (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) أضف إلى ذلك ما شهدته السيرة العطرة لرسول الله (ص) وأئمة أهل البيت (ع) مما يُلقي المزيد من الضوء على أهم المرتكزات التي تشكل البنية التحتية للعمل الحزبي، وهو ما مارسه نبي الرحمة من الاتصال السري في بداية الدعوة الإسلامية، وكذا ما حدث في زمن الإمام الكاظم (ع) والإمام الحجة (عج)..

ثالث المبرّرات هو العقل الذي يحكم بضرورة إتقان العمل، وصيانة العاملين الذين ينذرون أنفسهم لخدمة الإسلام من غائلة الإبادة من قبل الأعداء؛ مما يضطرّهم إلى اعتماد مبدأ السِرِّية في العمل، وتوزيع الأعمال على المنتسبين، وصناعة القرار بأقوى ما يمكن من الآليات.. وهي من سمات العصر المتحضّر التي لم تخلُ منها مؤسسة عامة، فضلاً عن المؤسسات التي تضطلع بمهمة إعادة بناء المجتمع، والتصدّي لقوى الشر التي تحاول التحكّم فيه.

المبرّر الرابع ما أفتى به الفقهاء من جواز العمل الحزبي في الإسلام، وما اقترن به تأسيس حزب الدعوة الإسلامية باسم الشهيد السعيد الصدر (رض)، ومن رفضه الإفتاء بحرمة الانتماء لحزب الدعوة على الرغم مما كلفه ذلك من تنفيذ حكم الإعدام به، كما نصّت وصيّته بالدعوة: (أوصيكم بالدعوة خيراً فإنها أمل الأمة).

السِرّية في عمل الدعوة

السرّية في الدعوة ليست هدفاً بحد ذاتها، بل هي وسيلة تفرضها طبيعة الظرف الذي مرّ فيه، والمخاطر التي تحدق بها، والسرية في حزب الدعوة الإسلامية على ثلاثة أنحاء:

1- سِرّية الحزب: وقد كان ذلك في أول تأسيس الحزب؛ لمنع اكتشافه وهو في طوره الأول، وتعريضه إلى الإبادة؛ وبانتفاء هذه المبرّرات في الخارج

---

[6] سورة التوبة – 105.

[7] سورة آل عمران – 104.

فقد طرح الحزب نفسه على مسرح الأحداث في أكثر من مكان، وعلى أكثر من صعيد، وتمثل للأمة من خلال الناطقية الرسمية والمكاتب والمتحدثيات والتمثيل في المناسبات.

2- سِرّية التنظيم: وهو ما يجعل طبيعة البناء التنظيمي من حيث الهيكلية والتراتب بمنأى عن الاختراق، والاستهداف، والتشويه وسيمتد بمبدأ سِرّية التنظيم حيثما اقتضت المصلحة ذلك.

3- سِرّية الأفراد: وهو ما يجعل مفهوم السرية مراعياً لطبيعة مستوى الداعية وظروفه وظروف الحزب، ويتم كشف الدُعاة بالشكل الذي يتطلبه كشف الدعوة إلى الأمة، والدعوة الإسلامية حين تقرّر كشف هذا الأخ الداعية أو ذاك، أو إضفاء طابع السِرّية على أيّ من الدعاة فإن ذلك يتم بناءً على المصلحة الإسلامية التي تراها الدعوة، وليس مراعاة لمزاجية الداعية، وما يراه بعيداً عن المصلحة الإسلامية العليا.

أمّا أهداف الحزب، وأفكاره، ومتبنياته فهي ليست خافية على أحد، وإنّ الحزب سبّاق في كشف النقاب عنها، وتوعية أبناء الأمة بمفرداتها، ولو لم يكن النظام الحاكم بتلك الدرجة من القمع والبطش بكل من يختلف معه، كما أنّ النظام البائد، لو لم يكن قد استهدف الدعوة الإسلامية أولاً وبالذات، والتي تعيش أوساط الأمة من خلال مجسّات دعوية لقراءة الواقع باستمرار، وتتعاطى معه من خلال شواخص دعوية معروفة لديه، وإن لم يتم التصريح بها أحياناً، ولو لم يكن قد حرّم الحاكم حقّ القلم في الكتابة، وحق التفوّه بأي كلمة، لو لم تكن هذه الأسباب لما وجدت الدعوة الاسلامية مبرّراً لاعتماد السِرّية في العمل، ولصرّحت بوجودها من تردّد؛ وقد صدحت ثلاث صحف ومجلّة باسم الدعوة في ثلاث مناطق في العالم، ونشرت في صدر صفحاتها كل ما يتعلق بفكرها وأهدافها ومواقفها، وما يتعلق فيها من أخبار، وهي "الجهاد"، و"صوت العراق"، و"الموقف"[8]، ومجلة "الجهاد".

أسلوب العمل

نظرية الدعوة في العمل مُستوحاة من الأحكام الشرعية، وما تسمح به من مراعاة للناس المخاطبين بالدعوة، ففي كل أسلوب عمل هناك طرف ثابت وآخر متغيّر والطرفان كلاهما مستوحيان من الأحكام الشرعية، والثابت والمتغيّر يتحدّدان بحسب الحكم الشرعي الذي يشير إلى الثابت والمتغيّر الموضوعي، ولمّا كان الأسلوب واسطة لإيصال الفكرة من المُعطي للمتلقي، فقد كان من الطبيعي أن يتخذ الأسلوب الصياغة الأفضل لإحداث التغيير في نفوس المخاطبين، فكان الأسلوب متغيّراً بتغيّر الوسط الاجتماعي، كما كان

[8] صحيفة الجهاد صدرت في إيران، وأما (صوت العراق) ففي أوروبا، وصحيفة (الموقف) في سورية كلّها بدأت الصدور منذ أوائل الثمانينيات، أما مجلة (الجهاد) فهي ذات طابع فكري إسلامي تزخر بالبحوث والمقالات العلمية صدرت من إيران إضافة إلى صحيفة البيان الصادرة من بغداد.

تعدّد الأوساط الاجتماعية مَدعاة بالضرورة لتعدّد الأساليب في العمل مثلما يختلف الأسلوب من شريحة اجتماعية لأخرى، والدعوة تعتمد الأساليب المُباحة في الإسلام، والتي تنسجم مع خطها التربوي مبتدئة بالأجدر على تحقيق الأهداف، وتبقى الدعوة الإسلامية مُصِرّة على أن يمتاز أسلوبها في العمل يمتاز بالحكمة والمرونة من وحي الآية القرآنية الكريمة: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))[9]

كما تؤسس الدعوة على فهمها لآلية الحزب باعتباره نظرية عمل، وليس هدفاً:

1- احترام التعدّد في الأساليب، والنظر إليها على أنها تتكامل مع بعضها في خدمة الهدف، وليست بديلة عنه.
2- التعاون مع أصحاب النظريات المتنوّعة في الساحة؛ لتحقيق الأهداف المشتركة.
3- الدفاع عن القوى المختلفة، وحمايتها من الاضطهاد والتشويه بقدر تعلّق الأمر بخدمة الأهداف.
4- الاقتراب والتعامل مع كل قوة يقوم على أساس المشترك الفكري والسياسي الآلي، ويضطرد باضطرادها.

التربية في الدعوة

الدعوة الإسلامية حركة تغييريّة تستهدف بناء الواقع الاجتماعي بناءً إسلامياً يقوم على أساس العقيدة الإسلامية بكل ما زخرت به من مفاهيم، وطبق الشريعة السمحة بكل ما حفلت به من أحكام، ومن أبرز ما يميّز حركة الدعوة الإسلامية هو البُعد التربوي؛ والتحلّي بالصفة التربوية يستلزم توفير الفكر الإسلاميّ الواعي، والارتقاء بالداعية إلى مستوى الأصالة مقدمة لبناء شخصيته؛ ولكي تأخذ الدورة التربوية مداها المطلوب حتى تتأصل في النفس فإنّ ذلك يتطلب توفير أجواء تربوية ترقى إلى مستوى التضحية والإيثار والتحمُّل.
العملية التربوية في الدعوة لا تقف عند حد، كما أنها تضطرد مع ارتقاء الداعية على سُلّم المسؤولية بحيث يعيش الإسلام في كل جوانب حياته. وإذا كان ثمة تسامح بشأن من شؤون العمل من حيث النشاط والثقافة فإن مثل هذا التسامح ليس له وجود مبرَّر في الشأن التربوي، والدعوة ما لم تحقق المستوى التربوي المطلوب داخلها لا تستطيع أن تحقق ذلك في المجتمع؛ وهي بناءً على ذلك ليست معهداً أكاديمياً ولا منتدى أدبياً، بل

[9] سورة النحل – 125.

إنها حركة تغييرية تعمل من أجل إحداث التغيير في البنى التحتية للمجتمع.
من هنا كان الداعية متديناً قبل الانتماء وأثناءه وحتى فيما إذا ترك التنظيم؛ مما يجعله ورعاً ملتزماً، وهو في داخل الحزب، وهو كذلك حتى إذا حصلت له قناعة بترك العلاقة التنظيمية، وهو ما طبع مسيرة الإخوة الدُعاة في مواكبتهم مسيرة الحزب، وحتى بعد خروجهم منه، فما تتركه التربية الحزبية من آثار إسلامية في طريقة التفكير، أو صياغة الأسلوب، أو تصميم الموقف، السلوك السوي لا يبارح الداعية لمجرّد أنه انقطع عن التنظيم، فالداعية التقيّ والملتزم يبقى داعية حتى إذا ترك التنظيم.

المرحلية في عمل الدعوة

العمل التغييري يتطلب وقتاً لتحقيقه يطول ويقصر بحسب حجم المفردة التغييرية المَنويّ إحداثها، وحين تكون العملية التغييرية مستهدفة لبنى المجتمع كافة من جانب، ومُصرّة على إنجاز التغيير بطريقة تبليغية تعتمد الإقناع والتوعية من الجانب الآخر، فمن الطبيعي أن تمرّ عملية الوعي التغييري بمراحل عدة؛ حتى تأتي ثمارها المرجوّة، ولا معنى للدخول في أتون العمل السياسي قبل الانتهاء من قاعدة اجتماعية عريضة تستوفي مستلزمات العملية التغييرية بالتثقيف، ومن هنا كان من الطبيعي أن تكون المرحلة الثقافية التغييرية هي الأولى في عمل الدعوة لتواصل العمل التغييري عبر المراحل التالية في السياسة (السياسية - التغييرية)، والحكم (التطبيقية - التغييرية) بعد ذلك، وهكذا تبقى صفة التغييرية ملازمة في عمل الدعوة، وفي كل مراحل وجودها، وقد استلهمت الدعوة الإسلامية نظرية (المرحلية في العمل) من السنن الكونية المُودَعة في الوجود، ومن السنة المطهّرة، ومن تجارب الأمم، ومن طبيعة الأمور الاجتماعية التي تستغرق زمناً، وتتمرحل من نشوئها إلى حين تمكُّنها في الواقع الاجتماعي.

لماذا المواجهة؟

طبيعة الصراع الحاصل بين الدعوة الإسلامية، والنظام البعثي المتسلط على العراق نشأت من طبيعة التفاوت الجوهري بينهما من حيث المنطلقات الفكرية، والمنهج التربوي، ومن طبيعة التعامل مع الدول الكبرى ذات النظرة الفكرية والسياسية للإسلام، وصاحبة المصلحة في التحكم بما أنعم الله (تعالى) على العالم الإسلامي من ثروات اقتصادية جمّة، وموقع استراتيجي مهم.

في الوقت الذي وُلِد هذا النظام من رحم العمالة للأجنبي، وأنيطت به مهمة التصدّي لكل ما يمتّ للإسلام بصلة بالقمع والتشويه، والإزاحة فإنّ الدعوة الإسلامية تقف على الشاطئ الآخر الذي يقضي بالتفاني من أجل إشاعة القيم الحقة، والعمل الدؤوب على كل ما من شأنه إرساء قواعد العدل، والمساواة، والحرية، وتحقيق العدل الاجتماعي، والرفاه الاقتصادي، واحترام الرأي الآخر؛ فكان من الطبيعي والحالة هذه أن يحتدم الصراع، ولما كان النظام تتأصّل فيه نزعة شريرة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من حيث إشاعة القتل والتشريد وإقحام الأبرياء في غياهب السجون، فقد كان ما كان مما آلت إليه الأمور من مظاهر الجريمة التي خلّفت وراءها مئات المقابر الجماعية، ناهيك عن صور التعذيب التي يندى لها جبين التاريخ خجلاً.

إن سجلات الإجرام التي دوّنتها الدكتاتورية في التاريخ كالحجّاج وجنكيز خان وهولاكو ونادر شاه وهتلر وموسليني وستالين ورضا شاه... إلخ تتصاغر أمام جرائم صدّام، وإذا كانت الدعوة الإسلامية أول من اصطدم مع النظام الوحشيّ فإنها اليوم تقف، وقد اصطفّ إلى جانبها كل القوى الخيرة من مختلف الاتجاهات.

محطات في المسيرة

في العراق بدت معالم التغيير واضحة للعيان من خلال القفزة النوعية التي حققها الإسلاميون على الصُعُد الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ مما أرّق أعداء الأمة، وحسبوا لهم ألف حساب، فالجامعة التي كانت إلى وقت غير بعيد حكراً لأعداء الدين ومحاربيه عادت مسرحاً لنشاط الإسلاميين، ومنبراً من منابرهم، وإن الترابط بين طلب العلم الجامعي، والتحلّل السلوكي، والابتعاد عن الدين والقيم له يُعَد كذلك، فاكتسحت ظاهرة الحجاب أروقة الجامعة؛ وأحيا الطلاب الشعائر الحسينية بموكب مهيب كان ذلك عام 1966م، وامتزجت في العام الذي تلاه القصيدة الهادفة التي تفتّقت عن يراع السيد داود العطار، وانتظام المجموعات المنقطع النظير، وهو ما تولاه الناشطون من الطلاب الذي جعل من الآلاف الوافدة من مختلف جامعات العراق تنساب كالماء المنحدر بين ضفتي الجموع الغفيرة والمصطفة على جانبي الشوارع المؤدية إلى حرم الإمام الحسين (ع)، وهي تنظر بتلهفّ إلى رجل المستقبل، وقد بان من بريق عيونهم غدٌ واعد، وتحدّدت من ثنايا هتافاتهم معالم مرحلة جديدة، تنبض بالأمل، وتمور بالعطاء والحركة.

لقد تصدّى لمواكب الجامعة على مستوى التخطيط الحاج عبد الصاحب الدخيل (أبو عصام)، واعتمدت أعداداً غفيرة من الطلاب في تنفيذ شعيرة المواكب بين من ساهم بالإعلان عنها، أو دعا إليها، أو سجّل أسماء الراغبين، أو أدار رحلتهم إلى كربلاء، أو شكّل، ووجّه صفوف المشاركين، وقد شملت كل جامعات العراق، وعمّت الطلاب والأساتذة من أبناء المذاهب الإسلامية المختلفة.

منذ أن اعتلى حزب البعث سدّة السلطة عام 1968 باشر وفي وقت مبكر بتنفيذ مهمته المخابراتية، ومن خلال ملاحقة رموز التحرّك الواعي، والحيلولة دون ظهور أيّ نشاط من نشاطاتهم؛ فكان الاتهام للسيد مهدي الحكيم نجل المرجع الديني الإمام الحكيم، وملاحقته حتى فرّ بدينه إلى الخارج؛ ليواصل عمله، وهو ينتقل من بلد إلى آخر حتى قُتِل على يد المخابرات العراقية في السودان، ونال وسام الشهادة، وبدأت عمليات الاعتقال لكوادر حزب الدعوة وتقلدّت المجموعة الأولى (قبضة الهدى) شرف الشهادة عام 1974، وهم: (الشيخ عارف البصري، والسيد نوري طعمة، والسيد عماد الدين، والسيد عزّالدين، والسيد حسين جلوخان)، واستمرت وتيرة القمع والإبادة بالتصاعد، وأخذت قوائم الشهداء تترى من كل طبقات المجتمع التي نفذت فيها الدعوة الإسلامية إثر صدور قرار الجور الفاحش عديم المثيل بتاريخ 1980/3/31 القاضي بالحكم بالإعدام على المنتمين إلى حزب الدعوة الإسلامية، ومن يحمل أفكاره، ويتعاطف معه بأثر رجعي، ثم امتدت يد الجريمة لتطال المرجع الإسلامي السيد الصدر الأول وأخته العالمة بنت الهدى، وشملت الكوكبة من آل الحكيم، وتوالت الجرائم لتعم أوسع القطاعات من أبناء الشعب في (انتفاضة شعبان) في آذار من عام 1991م، ولم تقف عند هذا الحد، بل توسّعت لتشمل مراجع الشيعة في النجف الأشرف، وانبرى المرجع الديني الصدر الثاني لينطلق من منبر الجمعة معبّأ الجماهير المليونية في مختلف مناطق العراق تعبئة سياسية عارمة بشعاراتها ومطالبها وأدائها في الشارع العراقي؛ مما أثار سخط السلطة لتغتاله في وضح النهار، لكنه خلّف تياراً إسلامياً عارماً رفد المسيرة الإسلامية وقوّى شوكتها، وقد هاجر الكثير من الدعاة فراراً بدينهم من بطش السلطة، وبحثاً عن أرض تقلّهم لمواصلة الصراع ضد النظام الصدامي المجرم.

الدعوة الإسلامية والمرجعية

الدعوة الإسلامية نشأت، وترعرعت في أحضان المرجعية، وقد أُسّست من قبل مرجع إسلاميّ يتمتع بقدرات خلاّقة على مستوى الفكر والتنظير والممارسة، وقد ترك بصماته على خط الدعوة منذ كتب نشراتها الأولى، ورفد بحضوره المبارك اجتماعات التأسيس، وتبقى الدعوة ذات علاقة عضوية بالمرجعية، وترجع لها في كل ما يتطلب الأمر ذلك؛ لتحديد الموقف المناسب، وتظل تحتضن الدعاة الميامين من مقلدي المراجع كافة من دون أن تكون واجهة لمرجع ما، أو تتخذ من أي مرجع واجهة لها، كما إنّ صفوف الحزب تضمّ العلماء والمجاهدين من الدعاة الواعين، والمقلدون منهم يقلّدون من يعتقدون بكفاءته من دون أي تدخّل من قبل الحزب نفسه، وستظل الدعوة أمينة على ممارسة دور التوعية والتغيير في المجتمع من موقع كونها ذراعاً تنفيذياً للمرجعية، وحلقة اتصال مع الأمة.

ولمزيد من التوضيح فإنّ حزب الدعوة يصوغ نظريته في العلاقة بين التنظيم والمرجعية الدينية من ثلاثة منطلقات لتحديد ثلاثة مسارات:

المنطلق الأول من طبيعة الفكر الذي يربط المرجعية الدينية بالأمة.

المنطلق الثاني من طبيعة العلاقة بين الدعاة، ومن يقلّدون من المراجع.

المنطلق الثالث من طبيعة المواقف التي تقتضي الرجوع إلى تحديد الموقف العملي على هدي الشريعة الإسلامية؛ مما يستدعي مراجعة الفقيه الكفوء.

على المسار الأول – الفكري – تتعاطى الدعوة الإسلامية مع منابع الفكر في إثراء مسيرتها؛ لأنها تنظر إلى كل مجال تتعامل فيه، وقبل أن تضع نظريتها، وتحدّد أسلوبها، وتعيّن القاعدة التي تشيد عليها صرح النظرية التي تتولى إحداث التغيير في ذلك المجال من المستوى الذي هو عليه إلى المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه، ومن دون أن تتردد الدعوة حيال أساطين الفكر ورُوّاد المعرفة من أصحاب الفكر الذي عُرِفوا بالعمق والأصالة والمعاصرة؛ حتى تضفي على نظرياتها بُعداً مبدئياً، وترقى بها إلى حيث الأصالة والتجديد معاً.

وعملاً بمسلّمة التنظير في كل مجال من المجالات الاجتماعية التي تتحرّك فيها الدعوة سواء في المجال العائليّ، أو الاقتصاديّ، أو السياسيّ، أو الإعلاميّ، أو الزراعيّ، أو أيّ مجال آخر، فقد انفتحت على الفقهاء لاستلهام مبانيهم الفقهية، وصياغة نظرية عملها على ضوئها مقدّمة للتعاطي مع ذلك الوسط، وحيث زخرت الدعوة الإسلامية في عملية التنظير في مجالات التعامل الاجتماعي، فإن ذلك قد جاء حصيلة مجموعة عوامل كان تحديد المبنى الفقهي أهمها.

ستبقى الدعوة الإسلامية في تماسّ ٍمباشر مع مراجع المسلمين كلما امتدت في مساحات التعامل لتغطيتها بما تتطلب من مفاهيم ونظريات إسلامية للنهوض بها إلى مستوى الفهم الإسلاميّ الصحيح، وسيبقى النتاج الفقهي الأكفأ والفقيه الأكفأ محط إكبار الدعوة والدعاة وموضع مراجعتها ومراجعتهم على طول الطريق.

على المسار الثاني - علاقة الدُعاة - فإنّ الدعوة الإسلامية تضمّ بين جنبيها جموع الدعاة الذين يقلّدون عدّة مراجع وبتعدّد المراجع يتعدّد الدعاة كذلك في هذا الشأن تماماً، كما يتعدّد أبناء الأمة، ومثلما يكون التعدّد المرجعي تعبيراً عن (تنوّع المعطي) يكون التعدّد المقلد تعبيراً عن (تنوّع المتلقي)، ولم يضِق صدر الدعوة من احتضان هذا التنوّع (تنوع المعطي)، بل تعتبره نقطة قوة في الحركة، وسعة في أفق التحرّك، وهي أي الدعوة حين تحرص على أصل رجوع الداعية إلى مرجع ما لإبراء ذمته في تحديد التكليف حين يكون دون مستوى الاستنباط والاحتياط من وحي الآية القرآنية: ((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)).[10]

لقد عبقت مسيرة الدعوة باحتضان (تنوّع المتلقي) من أوسع أبوابه إن لم نقل: إن عوائل الدعاة تشهد تنوعاً واعياً بين أفرادها في الانفتاح على أكثر من مرجع؛ مما يعني أن العلاقة الزوجية والعلاقة بين الأبوين والأولاد لا يتوقف انسجامها على

[10] سورة النحل – 43.

وحدة التقليد للمرجع، فكيف والكم الدعوي أكثر عدداً، وأشدّ اختلافاً بالنظر في كفاءة الفقهاء، من هنا لم تجد الدعوة ثمة ما يبرّر بأن تجعل من نفسها واجهة لمرجع ما مهما كانت كفاءته الفقهية، أو حجمه في الأمة، كما لا تجد الدعوة مصلحة إسلامية أن تنغلق على مرجع واحد بحيث يكون واجهة لها؛ لذلك بقي الحزب يزخر على طول مسيرته باحتضان كل مقلدي المراجع، كما ظلت أمينة على الدفاع عن مكانتهم، لكن ذلك لم يمنع، ولا يتعارض مع حقيقة اشتهار مرجع ما في صفوف الدعاة أكثر من غيره في أي مقطع من مقاطع الزمن، وهذا تعبير عن قناعة الدعاة وليس عن قرار من الحزب، والشهرة الأكثر لأيّ من الفقهاء تعبير عن حقيقة اجتماعية، وليست تعبيراً عن حقيقة حزبية.

على المسار الثالث – موقف الدعوة العمليّ – فإنّ الحزب يمرّ أحياناً في موارد تتطلب موقفاً جديداً لم يسبق له أن مرّ به؛ مما يستدعي المراجعة على مستوى الاستفتاء في أكثر من حقل من الحقول سواء في الجانب التنظيمي أم المالي أم السياسي أم الاجتماعي، فالدعوة حركة في الأمة ومفصل أساس في تحريكها، وهي تتحرّى الأصالة في التنظير والدقة في التطبيق؛ وهذا ما يقتضي مراجعة الفقهاء في كثير من الصُعُد وفي العديد من أبواب الفقه، ولمّا كانت كفاءات الفقهاء متفاوتة في المجال الفقهي من جانب، ومتفاوتة في الأبواب الفقهية من الجانب الآخر، ومع إجماع الفقهاء على جواز التقليد التجزيئي للمكلفين؛ فقد كان رجوع الدعوة وحتى الدعاة إلى المراجع في مجالات عملها ظاهرة صحيّة لاتنفك عن سلامة المسير، ولا تبتعد عن حرصها عن الارتقاء النوعي على سُلّم التكامل؛ من هنا عبقت مسيرتها المباركة بالانفتاح على المرجعية على طول الخط، وتعدّدت في صدقيتها على مستوى المراجع، فهي تراجع العديد من الفقهاء في العديد من المسائل بحسب طبيعة الموضوع وكفاءة الفقيه.

هيكلية الحزب

هرم التشكيل الحزبيّ يقوم على قاعدة كل الدُعاة من دون استثناء، ويضمّهم تنظيم الدعوة من حلقة القيادة إلى عموم الدعاة حفظهم الله – تعالى -، ويتألف مؤتمر الدعوة من الدعاة الذين يمضي عليهم وقت كافٍ من التربية الحركية، والثقافة، والعمل، وتحمّل المسؤولية، وتقع على عاتق المؤتمر مهام كثيرة باعتباره أعلى جهة في الحزب، منها: تشكيل القيادة، وتحديد النظام الداخليّ، واختيار لجنة للتقييم الحزبيّ، والخروج بمقرّرات أساسية، فيما تقوم قيادة الدعوة بتحديد الناطق الرسميّ للحزب، وتشكيل المكاتب واللجان الحقلية المختلفة، كالتنظيم والسياسة والإعلام والعمل الميدانيّ، وتحديد المسؤولين المناسبين لها، والمباشرة بإصدار نشرة الحزب المركزية (صوت الدعوة)، فضلاً عن حسم الأمور المهمة والطارئة ذات الطابع المصيريّ التي تتطلب عقد مؤتمر استثنائيّ.

البنية التنظيمية في مراتبها المتقدمة على سفح الهرم التنظيميّ ليست انعكاساً لتنافس الدعاة لإشغال المواقع التنظيمية من حيث المنطلق، ولا مجالاً للتمايز والتحارب من حيث النتيجة، وهو ما يوفر ضمانة لبناء الهرم التنظيميّ على أسس قرآنية تعكس قيم الإسلام ومفاهيمه وأحكامه من الناحية النظرية، كما تعكس الأداء السلوكيّ المرتقب والسويّ للدعاة من الناحية العملية، وهو السرّ الكامن وراء تردّد الدعاة - حفظهم الله - من المبادرة في التصدّي لمواقع المسؤولية، فيما تراهم يبادرون في ميادين الاستبسال والتضحية دون تردّد، ولم ترضَ الدعوة لدعاتها من الأكفاء أن يُبدوا عزوفاً عن مواقع العمل سواء في المجال التنظيميّ، أو الاجتماعيّ، أو السياسيّ، أو أيّ مجال آخر ماداموا أهلاً لها لكنها تكبر فيهم حرصهم على أن يشغل تلك المواقع الأكفاء غيرهم حين يتوفّرون؛ مما يدلّ على أنهم يرون التصدّي للمواقع بذلاً ومسؤولية، وليس رغبة وأخذاً أو هواية شخصية.

كيف يُصنَع القرار في الحزب؟

عملية صناعة القرار في الدعوة تقوم على أساس الوقوف على آراء مُجمَل الدُعاة مقدّمة لصناعة القرار من قبل القيادة، ومن الطبيعي والحالة هذه أن تتقدم عملية التشاور على البتّ بالقرار المناسب، وهو ما يعني أن هناك نسغاً صاعداً يبدأ من الدعاة، وينتهي إلى القيادة تفرزه الحلقات التنظيمية، ولقاءات الشورى، وتقارير الدُعاة، وتعقبه عملية صناعة القرار من قبل القيادة ليكون النسغ النازل منها إليهم، وسياق النسغين الصاعد والنازل معلم أساسي في عمل الدعوة، ويتيح للداعية ممارسة حق الرأي في الدعوة فيما يُتيح للدعوة حق القرار على الدعاة، وبهذا تحفظ الدعوة الإسلامية للدعاة أجواء الإثراء في التحليل والفكر والنمو من خلال مناخات هذا التعدّد، في الوقت نفسه تحفظ فيه مركزية الموقف من خلال القرار المركزي.

وفي إدارة العمليتين في صناعة الرأي والقرار تمارس الدعوة مسؤوليتها بحكمة؛ بغية حفظ الموازنة بينهما بحيث تُبقي حق الرأي للداعية فيما يُبقي الدعاة للقيادة حق القرار، لكن ذلك قد يتعذر على بعض الدعاة حفظهم الله – تعالى - ويجعلهم غير قادرين على التوفيق بين ما يحملون من قناعات، وبين ما تتخذه الدعوة من قرار، وهو ما يجعل الداعية في الخيار بين المواكبة مع التنظيم، وبين التوقف عنه، وحين يصعب على أي داعية البقاء ضمن الوعاء التنظيمي فإن علاقته تبقى مع الدعوة على أساس الفكر والأهداف؛ مما يجعله - بحكم تربيته الدعويّة - يواصل عطاءه بكل حيوية، كما تواصل الدعوة من طرفها التعاطي معه على أساس الفكر والتنسيق بالمواقف بكل ثقة وانفتاح ومحبّة، وقد عبقت مسيرة الدعوة الإسلامية بالتعامل مع الدعاة الأبرار من موقع الاختلاف حيث ساهموا حفظهم الله – تعالى – في إثراء مسيرة الدعوة على أكثر من صعيد دون تلكّؤ.

ثقافة الدعوة

تتنوّع ثقافة الدعوة بتنوّع المادة الثقافية التي تتعاطاها، والصعيد الذي تتحرّك عليه، فهناك ثقافة البناء التي تتولى بناء شخصية الداعية من حيث العقيدة والأخلاق والشريعة، وهناك ثقافة الدفاع عن الإسلام تتولى ردّ الشبهات التي تُثار بوجه الإسلام مما يدخل في حياته أو لا يدخل فيها؛ ومن خلال ما يتزوّد الداعية به من ثقافة الدفاع يكون جديراً بالذود عن حياض الفكر الإسلامي، وهناك ثقافة الدعوة للإسلام التي تؤهّل الداعية بحكم اطلاعه على فكر الآخر واستيعابه خلفيته الفكرية وما يدور في خلده حتى يتدرّج في الاقتراب للإسلام، ويؤمن به، ويحكّم مفردات الشريعة في حياته، وتبقى مصادر الدعوة في الثقافة هي القرآن الكريم والسنة المطهّرة (بآليّات العقل والإجماع)، وتستثمر الدعوة تجارب الشعوب والحركات التي تلتقي الإسلام من الناحية القيميّة، وخبرتها الذاتية في العمل.

ثقافة الحكم

الثقافة في حياة الداعية ليست ترفاً فكرياً، وإنما هي زاد معنويّ يستعين به على بناء نفسه وبناء الحزب والمجتمع، وفهم كل ما يدور من مفردات، وهذا الفهم مطلوب أن يكون بمستوى الوعي لكل ما يقع ضمن دائرة الأهداف والوسائل، وأن وعي الوسط الاجتماعيّ ووعي الأهداف مقدمة لابد منها لإحداث الوعي التغييريّ، وكلّ هذه المفردات تتطلب أن يتمتع الداعية بمستوى عالٍ من الثقافة.

الثقافة السياسية

انطلاقاً من كون الدعوة حركة إسلامية تستهدف بناء الواقع الإجتماعي على أساس العدل والحرية واحترام حقوق الإنسان، كما إن الحقل السياسيّ على صعيدي المعارضة والحكم يشكل ركناً أساسياً في عملية التغيير فقد أولت الدعوة هذا الحقل اهتماماً خاصاً به، وحدّدت نظريتها في السياسة، وأشارت في أكثر من مرة إلى أهمية الوعي السياسي، وكل ما يتعلق بالشأن السياسيّ، ولم يكن ذلك في المرحلة السياسية وحسب بل ركّزته الدعوة منذ المرحلة الثقافية إعداداً للمرحلة السياسية، وما تتطلبّه من مستلزمات.

في مجال الثقافة السياسية دفع الحزب أعضاءه الميامين إلى التزوّد بكل روافد الثقافة ابتداءً بما يتعلق بالفكر الإسلامي السياسي ومروراً بالفكر الإنساني العام وصولاً إلى الفكر الآخر للاطلاع عليه بدرجة تؤهّل الداعية لفهم الآخر، وتعينه على الإجادة بكفاءة للتعامل معه باعتباره يشكّل جزءاً من واقعنا السياسي، وهو ما يعني أنّ الثقافة السياسية تمسّ الواقع في الصميم، وليست هواية فكرية أو احترافاً مهنياً بالنسبة للدعاة.

الخبر السياسي والمصطلح السياسي والتحليل والخطاب وكل شيء يشكّل مقدمة للوعي والتحليل والقرار والموقف السياسي، فمن دون الثقافة السياسية يتعذر على الدعوة أن تدخل الحيّز السياسي فضلاً عن أن تجيد التعامل فيه، وقد دفعت الدعاة للتنوّر بالثقافة عامة والسياسية منها خاصة حتى يكون أداؤهم السياسيّ عن وعي، ولما كانت القضية العراقية قد دخلت مجال التدويل منذ زمن بعيد فقد كان لزاماً على الدعاة أن ينفتحوا على كل العوامل التي تؤثر في المحصِّلة السياسية، وتوجّه بوصلتها بالاتجاه الصحيح.

كما إنها تتطلع إلى تحقيق حالة دستورية دائمة في البلد تتولى إرساء الحياة المدنية على أسسها، ويضمن وحدة حركة الشعب العراقي ووحدة أراضيه وصيانة التعدّدية واحترام حقوق الإنسان، واعتماد الطرق الديمقراطية للوصول إلى الحكم، وضمان الحرية لأبناء الشعب بكل تنوّعاته على أن يساهم في اختيار الدستور كل المواطنين، ويعملوا على تطبيقه.

الشعار

تتبنى الدعوة شعارات سياسية مستوحاة من وحي الإسلام من حيث المفهوم والصياغة وهدف الشعار آخذة بنظر الاعتبار مدى واقعية الشعار، ومحاذاته للواقع بحيث يلمسه الناس، ويسعون لتطبيقه، فحين تطرح الدعوة شعارات: الاستقلال السياسيّ، والتعدّدية السياسية، ونبذ الإرهاب عموماً، والإرهاب الطائفيّ خاصة، وإزالة الدكتاتورية، وحرية التعبير عن الرأي، وحماية حقوق الإنسان، ومنع التدخّل الأجنبيّ في الشؤون الداخلية في البلد، وكذا الكثير من الشعارات إنما تطلقها الدعوة من خلال انسجامها مع فكر الدعوة وحاجات الناس وإيمانهم بها وإمكانية تطبيقها.

الدعوة والأمة

لا يوجد هناك انفصال بين الدعوة والأمة، فهما ليسا طرفين في العلاقة، بل هما كيان واحد تتمثل فيه الدعوة بالحضور في العمق الوجداني لها، وتتفاعل مع أهدافها وتحسّ بمعاناتها، وتبذل كل ما لديها من أجل إسعادها، وقد تواجدت الدعوة الإسلامية في خنادق التضحية منذ أن انطلقت في نهاية الخمسينيات، والدعوة لم تقسّم أبناء الأمة على أساس من النظرة التنظيمية أو الحزبية، بل انتسبت، وتعاملت مع أبناء الأمة كلهم؛ مما جعل فعلها فيهم ضارباً في العمق، ليتشكل بسبب ذلك طيف أجتماعي يحمل أفكارها، ويتشكل في الوقت نفسه طيف أكبر ممن يتعاطف معها، ولم يكن فعل الدعوة هذا بعيداً عن رصد الأعداء ليوجد ردّ فعل مماثل يقضي بالحكم بالإعدام على الدعاة، ومن يحمل أفكار الدعوة، ومن يتعاطف معها.

تواصل الدعوة تفانيها من أجل خير أبناء الشعب بمختلف شرائحهم، ولن تدّخر جهداً ووظفت كل ما لديهم من إمكانات لتحقيق هذا الهدف، وإذا كانت مهمة إسقاط النظام الوحشي المقبور تطلّبت أن تقدّم خيرة أبنائها قرابين من أجل تحرير العراق من ظلم صدام، فإنّ العمل من أجل بناء العراق هو الآخر يتطلب المواصلة على أقصى درجات الكفاءة؛ حتى يرفل شعبنا بحياة كريمة تليق بقيمه، وما حباه الله من خيرات.

الدعوة والمركّب الاجتماعيّ

الدعوة الإسلامية تتعامل مع المركّب الاجتماعي الذي يتألف من مكوّنات متعدّدة سواء كانت قومية، أو سياسية، أو طائفية، أو دينية وهي مُلزَمة بناءً على ذلك بطرح نظريتها في التعامل مع هذا التلوّن على هدي الإسلام ضمن المشتركات الإنسانية والسياسية بينها، وقد تعاملت في مرحلة المعارضة بأكثر من صيغة عمل مع هذه الفصائل على أساس من الثوابت المشتركة، وهي تفرّق بين الجانب الفكريّ الذي يحفظ للاختلاف حجمه الحقيقيّ الذي لا يقبل المساومة، وبين الجانب السياسيّ الذي يخضع لمعادلة المراعاة المستوحاة من الواقع السياسي العراقي.. كل ذلك تستلهمه الدعوة الإسلامية من المسموح الإسلامي وعلى هدي السيرة المطهّرة، فمن يشكّل جزءاً من الواقع المعيش يقتضي بالضرورة تعاملاً إسلامياً إذ لا يعاني الإسلام من أزمة نظرية في التعامل، ولا تعاني الدعوة من ضعف في الأداء والتطبيق.

الدعوة والحكم

الحكم من وجهة نظر الدعوة ليس هدفاً بنفسه، إنما هو آلة مطلوبة لتحقيق العدل والأمن والرفاه الاجتماعي وهو ما يدخل في معادلة التغيير الذي جعلته الدعوة هدفها الأساس. إنّ غياب العدل الاجتماعي عن حياة الناس أشاع ظواهر الظلم التي طبعت المرافق الاجتماعية من الاستحواذ الاستبداديّ إلى السياسة الدكتاتورية إلى حسر المرأة عن المجالات الحيوية في المجتمع، كما أفشى الرعب، وأشاع الموت في صفوف المواطنين الأبرياء، وخيّم بسببه الخوف على كل الشرائح الاجتماعية، وهو ما اقترن بسنّ قوانين أحكام الإعدام لأتفه الأسباب؛ مما أفقد البلد قاعدة الأمن والطمأنينة التي تعتبر من ضرورات الاستقرار في كل مجتمع، كما جعل من الحرية التي تعتبر الحد الأدنى من حق المواطنين حلماً لم يتحقق، ومفهوماً لا وجود له على أي صعيد من الصُعُد، كما إن الغياب عن الحكم أودى بالعراق لأن يعيش كأفقر بلد في الوقت الذي يتمتع فيه بكل مسبّبات الازدهار الاقتصادي نظراً لما حباه الله – تعالى - من الخيرات الجمّة التي تفوق حاجاته من الثروة النفطية إلى شرايين التمويل الزراعي من المياه التي يوفرها نهرا دجلة والفرات إلى الموقع الاستراتيجي وغيرها.

لم تقف مأساة الحكم الدكتاتوري عند حدود الشعب العراقي وحسب، بل طالت لتعمّ المنطقة المجاورة برمّتها حيث أشعل الحروب الإقليمية مع دول الجوار الجغرافيّ، وأنزل بها أفدح الخسائر بعد أن أوقد فتيل الحروب المحلية ضد أبناء شعبنا العراقيّ في كردستان العراق ومناطق الوسط والجنوب.

إن تمسّك الدعوة بوجوب العمل من أجل إقامة الحكم الإسلامي بطريقة متحضّرة مُنتزَع من النصوص التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة المطهّرة، والتي طبّقها رسول الله (ص) وأئمة أهل البيت(ع) ومن الأدلة العقلية التي تكشف عن ضرورة إقامة الحدود الشرعية، ومما قاله فقهاء المسلمين، وقد أكدت المآسي التي صُبّت على شعوب المسلمين بما جرّت عليهم من تلك الخسائر؛ بسبب تغييب الإسلام عن واقع الحكم على الرغم مما حباهم الله – تعالى - به من خيرات على أهمية إحلال العدل، وإشاعة الحرية، ورعاية حقوق الإنسان.

الدعوة والهجرة

كانت الهجرة، ولاتزال طابع المؤمنين الذين يولّون وجوههم صوب الغربة؛ من أجل المبادئ وخدمة القضية، وظلت مسيرة الأنبياء والأئمة والصالحين مقرونة بالهجرة، وقد عمل المهاجرون بمبدأ توسعة دائرة الصراع ضد العدو والعمل في حركة دؤوبة تنسجم مع مُجمَل حركة الشعب في الداخل ريثما يأذن الله بالانتصار تماماً كما تحقق مع الرسول (ص) يوم أقام حاضرة الإسلام في المدينة المنوّرة، ثم دخل فاتحاً إلى مكة المكرمة؛ من هنا فقد واصل الدُعاة الميامين جهادهم في العراق في مختلف المراحل، وقُتِل منهم من قُتِل، وسُجِن وعُذِّب من سُجِن، وهاجر من طُورِد؛ لمواصلة دوره في حمل لواء المواجهة، وقد شهدت أجواء الهجرة نشاطاً مكثفاً على أكثر من صعيد، وبقي المهاجرون من الدُعاة على تماسّ مع أبناء مجتمعهم على الرغم من طول الفترة، وبُعد المسافة، وبانتشارهم مع عموم المهاجرين انتشرت في الكثير من بلدان المهجر الشعائر الحسينية، وعموم الفعاليات الإسلامية من مؤتمرات إلى مخيّمات إلى جمعيّات، وتوطّدت العلاقات الاجتماعية وأخذت العملية التغييرية مجراها إلى نفوسهم باتجاه الإسلام.

الدعوة والتعدّديات

الدعوة الإسلامية تميّز جيداً بين التعدّد المذهبيّ والنعرة الطائفية، وهي في الوقت الذي تحترم فيه الحالة المذهبية، وتعدّها في سياق الاجتهاد إلا أنها تعتبر النعرة الطائفية نزعة مقيتة تستهدف إشاعة التعصّب والفتن، وزرع بذور الفرقة بين أبناء الدين الواحد، كما أنها تدرك بوعي أن الكثير من الأنظمة حاولت اللعب على حبل الطائفية؛ لإحداث الفرقة خصوصاً النظام الصدامي المقبور في العراق غير أن شعبنا العراقي لم تنطلِ عليه هذه اللعبة، ولم يزده ذلك إلا تلاحماً وتصاهراً بين أبناء

المذاهب الإسلامية، ولئن طالت يد الجور الصدامي المؤمنين بأفدح الخسائر في أوساط الشيعة فليس ذلك من مبدأ تمسّكه بالمذهب السنيّ، ولا من ارتباطه بالإسلام من قريب أو بعيد.

وتقع مهمة التعايش المذهبي بين أبناء المسلمين في مقدّمة اهتمامات الدعوة الإسلامية في مرحلة الحكم كما كانت في مرحلة المعارضة؛ مما يعني أن الدعوة الإسلامية تنظر إلى أبناء الديانات غير الإسلامية على أنهم جزء من واقع الشعب العراقيّ، بل من واقع الأمة الإسلامية برمّتها، وهم بناءً على ذلك يقعون في حيز اهتمام الإسلام بالصميم، وهذا يدل على أن الدعوة الإسلامية تنظر إليهم على أساس الواقعية، والبُعد الإنساني في الإسلام المنفتح على الآخر للتعامل مع المكوّن العراقيّ، وهي تقتدي بالسيرة المطهّرة التي جسّدتها الحقبة الزمنية التي حكم فيها الإسلام، وكان أبناء الديانات جزءاً من تشكيلات الواقع، وقد مثّل ذلك ربيع عمرهم؛ لأنهم لم يعانوا من أزمة حرية، أو من عقدة اضطهاد، وهو ما جعل الدعوة تفكر بجد في خلق مُناخات من الحرية للتفاعل مع مثل هذه الظاهرة، وتجعلهم يمارسون حقوقهم المشروعة بعيداً عن أي ابتزاز.

ومثل ذلك ما يمكن أن يكون في المجال السياسي من تعدّد فرزه الواقع العراقي للقوى المخلصة ممن لم يتورّط بسفك دماء الأبرياء من أبناء الشعب، أو باع نفسه لأجهزة الدكتاتور الدموي؛ لذا لا ننظر إلى ظاهرة التعدّد السياسيّ على أنها ظاهرة ضعف، بل إنها رصيد قوة لتكامل حركة شعبنا في طيوفه السياسية المتعدّدة، وأن بلدنا بحاجة لتضافر جهود كل القوى الخيّرة من مختلف الاتجاهات السياسية.

مسؤولية المرأة في مجال الدعوة

تتحدّد واجبات المرأة المسلمة وفق ما أملته الشريعة الإسلامية في صريح القرآن الكريم والسنة المطهّرة: **((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))**[11]، وما جسّدته تلك السيرة عبر التاريخ، فالزهراء(ع) سيدة نساء العالمين اضطلعت بمهامها على المستويات كافة بأكمل وجه، كذلك زينب(ع).

تحتل المرأة موقعها في مسار الدعوة إلى الله من خلفية وعي الدعوة لتأثيرها في المجالات الشخصية، والأسرية، والاجتماعية، والسياسية؛ إيماناً من الدعوة بأن المرأة الواعية في أيّ صعيد من صُعُد التصدّي تكون أجدر من المرأة غير الواعية، ولما كانت مهمة الدعوة بالأساس تقوم على قاعدة (الوعي التغييري) فإنها أولت

[11] سورة التوبة - 71

المرأة اهتماماً خاصاً في البناء والتبليغ والتصدّي، وقد شهدت أروقة الجامعات أداء المرأة الواعية من موقع العفة والنزاهة، كما شهدت الأمة مكانتها الرائعة في إسناد حركة الرجل من موقع الأمومة أو الزوجية أو الأخوة، وما أكسب ذلك الرجل من زخم قويّ في الحركة والتفاني والتضحية كما ضمّت الدعوة في صفوفها من المجاهدات اللاتي لم يدخرن وسعاً في حمل رسالة الدعوة من أجل التغيير في الأوساط النسوية موفّرة لهن أجواء الاحتياط التي تتطلبها طبيعة عمل المرأة على أتمّ وجه، ولم تحرم المرأة شرف التضحية من أجل الإسلام إلى الحدّ الذي نال بعضهن شرف الاستشهاد على يد جلّاد بغداد، ولم يفتّ ذلك في عضدهن، وواصلن مسيرة العطاء والبذل في مختلف مناطق العمل، وعلى الصُعُد كافة.

سيبقى للمرأة دورها المنشود في حاضر الدعوة، ومستقبلها تماماً كما كان في تأريخها، وإذا كُنَّ قد توفّقن في إداء المهام الحياتية والاجتماعية في وقت واحد فقد أصبحن في ذلك حجة على عموم النساء؛ كي ينبرين لاقتحام مجالات العمل والدعوة فضلاً عن أداء دورهن في الحياة الزوجية والعائلية، ومثلما أخذت المرأة المسلمة دورها في السياسة كمعارضة فإنها جديرة أن تتمّم ذلك الدور السياسي في الحكم والإدارة بما ينسجم مع خصوصياتها على هدي الشريعة الإسلامية المقدّسة، كما أثبتن جدارة عالية في كل مجال اقتحمنه من المجالات الاجتماعية، كالتعليم والطب والهندسة والاقتصاد وفي مجال الحوزة العلمية والتبليغ والتربية والفنون، وغيرها، وهذا ما يتطلّب العمل الجادّ من أجل توفير كل الأجواء المناسبة للمرأة، لتأخذ دورها المهم في بناء المجتمع؛ مما يعكس النظرة الحضارية الإسلامية للمرأة.

تنظيم الدعوة والتعدّد الانتمائي

في صفوف الدعوة الإسلامية ظاهرة تعدّد الانتماءات لدى أبنائها من حيث الانتماء الإقليميّ، أو الانتساب القبليّ، أو التخصّص الأكاديميّ، أو الانحدار الطبقيّ، أو الانتماء المناطقيّ، والداعية وهو يعيش في جوّ الحزب يتذكر أنه داعية إلى الله مهما كانت تلك الانتماءات، بل يتذكر رسالته كداعية إلى الله، وهو يتحرّك في دائرة اختصاصه، وفي مجال عمله الاجتماعي - في المدرسة كمعلم، وفي المعمل كمهندس، وفي المستشفى كطبيب، وغيرها من دون أن يستحضر تلك الانتماءات في مجال الدعوة إلى الله؛ فيقع في شراك التميّز الانتمائي المادي، ويكون فريسة عُقدة القبلية، أو المهنية، أو الإقليمية، أو المناطقية في مجالات الدعوة، فالانتماءات المتعددة حق مشروع ومعلم حضاري للإنسان بشرط ألا يتحوّل أي منها إلى تعصُّب، فرسول الله(ص) كان متعدّد الانتماءات فهو عربي ومكي وقرشي ومهاجر

وبقيت كلها في إطار حركته المبدئية كحامل للواء الإسلام؛ لذا تعتز الدعوة أيّما اعتزاز بوجود التنوّع في أوساطها طالما لم يتحوّل أيّ منها إلى تعصّب.

الدعوة وإدارة الاختلاف

تُولي الدعوة تنمية القابلية لدى الدعاة اهتماماً خاصاً، وتروّج في داخلها الأجواء التي تتكفل تصعيد القابلية لديهم؛ عملاً بحقيقة الحفاظ على حيويتها المستمَدة من حيوية الدعاة، وما لم يتحلَّ الدُعاة حفظهم الله – تعالى - بقابلية إعطاء الرأي خطوة على طريق اتخاذ القرار تكون الدعوة قد حكمت على الدعاة بالتوقف عن النمو وعلى نفسها بالموت.

هناك في الدعوة قرار وآراء تتقدم آراء الدعاة من حيث الزمن على قرار الدعوة وهو ما يسمى بالنسغ الصاعد، والذي يتولى مسؤولية إيصال الرأي إلى غرفة القرار بالشكل الذي يجعل القيادة على اطلاع كامل على حقيقة ما يدور في خلد الدعاة، ثم تأخذ القيادة دورها في صناعة القرار ضمن آليات دعوية محددة لتوصلها إلى الدعاة عبر مسار النسغ النازل، وبذلك توفّق بين تعدّد آراء الدعاة ووحدة قرار الدعوة والذي يتوقف عليها وحدة الموقف.

يعيش الداعية أحياناً حالة من الصعوبة؛ بسبب التفاوت بين قناعاته وقناعة الدعوة وبمثل هذه الحالة تعمل بمبدأ المراجعة مع نفسها، وتتمنى على الداعية أن يراجع نفسه، فإن توصلت إلى خطئها وصواب رأي الداعية صحّحت على ضوء ذلك، وإن توصّل الداعية إلى خطئه وصواب قرار الدعوة صحّح هو ضوئه، أمّا إذا لم يقتنع الطرفان فيما اختلفا عليه فالمأمول أن يواصل مسيرته على الرغم من عدم قناعته، وإن وجد حرجاً في ذلك فهي تعذره، وتحترم قناعته فيما يفضي إليه من موقف على أن لا يكون ذلك مَدعاة إلى الاستهلاك.

((التجميد والمبادرة))

محطات في مسيرة الدعوة الإسلامية

كانت مرحلة الهجرة قد حفلت بنشاطات للدعوة الإسلامية على أكثر من صعيد، شملت العديد من المشاريع: كالجيش الثوري، وجماعة العلماء، ومكتب العراق، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بدوراته المتعددة، ولجنة العمل المشترك، والمؤتمر الوطني الموحّد، وقوى الائتلاف الوطني العراقي، وقد سعت من خلالها إلى حفظ لُحمة المعارضة العراقية، وتقويتها، وتطوير خطابها السياسيّ، وتمتين أدائها في الساحة، والتعجيل بإسقاط نظام صدام المقبور، ولم تُعِرْ الدعوة

الإسلامية اهتماماً لحجمها في أي منها قدر اهتمامها بتفعيل المشروع وجعله كبيراً في الواقع العراقي، كما إن الدعوة وانطلاقاً من حقيقة (تدويل القضية العراقية) بدأت تحمل همّ العراق إلى العالمين الإسلامي والعربي عبر اللقاءات، وفتح باب الحوار مع الولايات المتحدة الأميركية، ولأول مرة في 10/14 من عام 2002م وبمبادرة من الخارجية الأميركية؛ بغية التعرّف إلى الدعوة من كثب، وتعريفها بما تفكر به أميركا حيال العراق، وتقريرها للحرب تحت مظلة دول الحلفاء لإزالة أسلحة الدمار الشامل، ورفضت الدعوة آلية الحرب؛ لأنها تعرّض العراق لويلات مدمِّرة، ورفضت الاحتلال فيما بعد الحرب، وقد بلّغت رأيها كل المعنيين بالشأن العراقي بما فيهم الإدارة الأميركية، وطرحت البديل القاضي بإحالة صدام والزمرة من حوله إلى محكمة دولية كمجرمي حرب، وتدقّ الحرب أجراسها، ولم تضع أوزارها حتى سقوط النظام من دون هلاك المجرم صدام حتى اللحظة، وتواصل الدعوة حرصها على عراقية الآلية المطلوبة لملء الفراغ السياسي، كما أكدت على ضرورة الدستور الذي يختاره الشعب، وتحاور الفرقاء السياسيين على أساس من المشتركات الوطنية العراقية التي تضع مصلحة البلد فوق كل اعتبار، كما تأخذ على عاتقها التقريب بين الشرائح السياسية المختلفة؛ حتى يسهل على أبناء شعبنا تجاوز الظرف الذي يمرّ فيه من وجود قوات أجنبية على الأرض.

التعامل مع فلول حزب البعث

تفرّق الدعوة بين الحزب والمنخرطين فيه من جانب، وبين المنخرطين أنفسهم من الجانب الآخر، فحزب البعث الحاكم في العراق قد خضع إلى عملية التعسكر وبأسوأ صورة؛ مما يعني أن الحزب لم يكن انعكاساً لنظرية سياسية معيّنة مهما كان الرأي فيها، بل كان تجسيداً لعملية مسخ فكريّ وقيميّ بُنِي الحزب عليها، وتشبّعت نفوس المتصدّين بها، كما إنه لم يعُد يعبّر عن إرادة مجموعة ما مهما كانت هويتها، بل أضحى تعبيراً عن النزعة الدكتاتورية الفردية لشخص صدام بحيث لم يسلم من بطشه أحد حتى المقرّبون إليه، أما من انخرطوا في داخل الحزب أنفسهم، فمنهم من تورّط في هدر دماء الأبرياء، وكان أساساً في الجرائم، ومنهم من اضطرته الظروف وبلحظات ضعف معيّنة أن ينخرط في الحزب؛ لكي يدرأ عن نفسه خطراً ما، أو يحقق مكسباً حياتياً معيّناً خصوصاً أن النظام لم يترك مجالاً من المجالات إلا واحتكره لإرادته الدكتاتورية، وما يُمليه من شروط قسرية، وعلى خلفية هذا التفريق فإن حزب البعث كنظرية سياسية لا مجال لها في الحيّز السياسيّ العراقي، أما المجموعة التي سفكت الدماء، وارتكبت الجرائم فإن القضاء العادل هو الذي يختص في التعامل معهم من دون أن يفتح باب القتل العشوائي والقتل المقابل؛ مما يتسبب بإشاعة جوّ الفوضى الاجتماعية، وأما الغالبية من المنخرطين في صفوف الحزب فهي أقرب إلى الصفح والتجاوز.

الدعوة والوضع العالميّ الجديد

العالم اليوم يشهد حركة متسارعة أكثر من أي وقت مضى، وعالم اليوم من جملة ما يتميّز به هو انعدام المسافات بسبب التطور الهائل في وسائط النقل ونظام الاتصالات، وقد ترتبت على هذه التطوّرات نتائج في غاية الأهمية والخطورة؛ مما يستدعي النظر إليه بقدر كبير من الوعي والواقعية والمراجعة على هدي الإسلام ومفاهيمه السمحة، وهو ما يقتضي التنظير الإسلامي لكل مفردة من هذه المفردات؛ حتى يدخل الإسلام إلى منظومة العالم بكل ما يحمل من مستجدات كطرف فاعل ومبادر يستشرف أفق المستقبل، ويُجيد فن التعامل على المستويات كافة، ويرسم علاقاته مع دول العالم على أساس التفاعل الحضاري الذي يعكس عظمة الإسلام وجدارته؛ وإدراكاً منا لحقيقة وفرة الخيرات التي أنعم الله – تعالى - بها على العراق مما يفيض على حاجته، كالنفط مثلاً فإن مثل هذه الخيرات مَدعاة للتعاطي مع دول العالم المختلفة والاستفادة من خيراتها لصالح البلد كذلك، كل ذلك يتم على قاعدة تبادل المصالح التي تؤمّن تعاطي المنافع مع حفظ السيادة من المسّ، كما يتداول ما في الساحة العالمية من تثاقف وتعاطٍ حضاري وتنوّع في الخبرات، وتنافذ في المركّبات الاجتماعية؛ بسبب الهجرة التي طبعت شعوب العالم بفعل (حركة الهجرة) سواء بـ(فيض الهجرة) أو (غيض الهجرة)[12] أسرة واحدة تتمازج فيها العادات والتقاليد؛ مما يجعلها أكثر إنسانية، وألصق بحياة الناس، وأكثر انتشاراً، وأسرع قبولاً.

التمويل لدى الدعوة

اعتمدت الدعوة الإسلامية مبدأ الاكتفاء الذاتي، وتحقيق الاستقلال في مجال التمويل الماليّ، أو المجال الإعلاميّ، أو في مجال التنظير للفكر التنظيميّ، فآثرت الدعوة الحفاظ على استقلاليتها دافعة لذلك ضريبة البقاء على محدودية إمكاناتها المالية في مقابل ما تتوقعه منها الأمة، وفي مقابل ما رسمت هي لنفسها من برنامج تغييري شامل على جميع الصُعُد آثرة ذلك على الحصول على موارد تدفع ثمنها، ولو جزء من هذه الاستقلالية؛ إيماناً منها بأن ذلك يجعلها بمنأى عن الضغط والابتزاز من أي طرف مشبوه قد يساهم من خارج الحزب بالتمويل خطوة على طريق التحكم في قرار الحزب؛ لذا شكّل الدُعاة بما تجود به أكفهم من مشاركة مالية الرافد الأساس في المال والفكر والمادة الخبرية، ومثل ذلك في المجالات الأخرى كالإعلام والسياسة وغيرهما، لكن ذلك لم ولن يتعارض البتة مع ما تتبناه الدعوة من مبدأ الانفتاح على العناصر الخيرة من أصحاب الإمكانات المالية والمادة الخبرية والإثراء الإعلامي أن يمدّوا الدعوة باعتبارهم موضع ثقة الدعوة، ومصدر رفد أساس لها، ويتحمّلون معها المسؤولية، وإن لم ينخرطوا في صفوفها.

---

[12] الهجرة (حركة الهجرة): عبارة عن الهجرة من البلاد وإليها. وإذا زاد القدوم على النزوح سُمّي (فيض الهجرة)، وإذا نقص عنه دُعي (غيض الهجرة) عالم الفكر: المجلد الخامس /العدد الرابع/ 1975 صفحة 16، من هامش موضوع د.أبو أحمد الأشيقر (الجعفري)/ الهجرة الدوافع والآثار/ مجلة الأضواء/ العدد الثاني/ السنة الخامسة/ ربيع الثاني/ 1404 هـ صفحة 135).

لماذا المؤتمر السياسي؟

انطلاقاً من الواقع العراقي الذي وعته الدعوة الإسلامية، والذي يقضي بوجود تلوّن سياسيّ من الناحية المذهبية والدينية والسياسية والقومية، وإيماناً منها باحترام هذا التنوّع فقد عملت الدعوة جهدها على تحقيق مؤتمر سياسيّ يشمل كل الطيوف الاجتماعية العراقية بحيث يمثل بمجموعه مجموع الشرائح العراقية، ويقارب حقيقة كل واحدة من هذه الشرائح، ولم تنظر الدعوة في كل ما واجهت من مشاريع سياسية، أو ما بادرت هي بها. أقول: لم تنظر إلى حجمها في المشروع، بل نظرت إلى حجم المشروع العراقي في الواقع العراقي، وقد حدّدت موقفها من كل مشروع على هذا الأساس، وبذلت قصارى جهدها لتحقيق المشروع الأقرب إلى الواقع العراقي كما إنها حدّدت مجموعة شروط للمشاركة في أي مشروع عراقي، وهي تتلخص: بعراقية الهوية، كفاءة الجهات العراقية القائمة عليه بالشكل الذي يعكس طبيعتها المفصلية وتأثيرها في الشارع العراقي، توصيف أعضاء المؤتمر بما يجعله مؤتمراً سياسياً كفوؤاً، استقلاله السياسيّ، السعة الاستيعابية لكل الفرقاء السياسيين العراقيين بحيث يشمل كل أبناء شعبنا العراقي وبشكل متكافئ، تحديد أهداف المؤتمر المَنويّ الخروج بها، تطوير الخطاب السياسيّ بما يجعله معبّراً عن أهداف شعبنا المشروعة؛ وعلى ضوء هذه الأسس مضت الدعوة في التعامل مع المؤتمرات السياسية، وحدّدت موقفها على ضوء تلك الأسس.

والمؤتمر السياسيّ هو المعنيّ بتعيين الحكومة المؤقتة والدستور المؤقت ريثما يتم تعيينهما مباشرة من قبل الشعب العراقي نفسه وبشكل دائم، ولذلك ستكون من مهام الحكومة المؤقتة إعداد الأرضية المناسبة للممارسة العملية الانتخابية على أكمل وجه، وفي أقصر فترة ممكنة.

إن أي صيغة دستورية أو حكومة انتقالية تُفرَض على شعبنا العراقي من أي جهة كانت مرفوضة ما لم تكن معبّرة عن إرادته بالانتخاب المباشر، أو بممثلين منتخبين عنه.

لماذا التركيز على الخط والفكر؟

ممّا تميّزت به الدعوة الإسلامية هو الجانب الفكريّ الذي حدّد لها خطها في المسير، ونظريتها في العمل، وارتباط ذلك عضوياً بالإسلام ومفاهيمه وأحكامه؛ مما يدل أن العمل في صفوف الدعوة لا يعني أنه عمل في غير حركة الإسلام، بل إنه عمل في حركة الإسلام، وإن نظريتها وأهدافها ومعاييرها مستوحاة من صميم الإسلام ومشبّعة بقيمه الحقة، وهو ما جعل الدعاة إلى الله، وهم ينطلقون في ميادين العمل المختلفة لا يشعرون بازدواج بين مفاهيم الإسلام والحزب، ومن هنا كانت حالة (وحدة الهوية) قد أمدّت الدعاة بطاقة خلّاقة من المعنوية، وزخم ضخم من الحيوية والعمل، وزاد روحيّ فريد بحيث يجعلهم يعانقون أعواد المشانق وهم يستشرفون

آفاق الجنة بلا تردّد. مثل هذا الخط، وهذه الرؤية المبدئية مدعاة لأن ينجب الحزب رجالاً باعوا أنفسهم، وأعاروا جماجمهم إلى الله وحده، وكان من الطبيعي أيضاً أن يكون الخط أكبر من الأشخاص، وأن يكون عمر الحزب أطول من عمرهم، وأهدافه أبعد مدى من جيلهم، ولئن سقط عشرات الآلاف من الدعاة الميامين صرعى على مذبح التضحية من أجل الإسلام فإن رحم الدعوة الإسلامية المعطاء ظل يواصل عملية الإنجاب، وستبقى ببركة الله – تعالى - هذه المسيرة عطاءً يتجدّد، وامتداداً يتواصل إلى حيث تمتد مصلحة الإسلام، وحيث تتواجد الأمة.

ويبقى الشخص مهما بلغ يُنظَر إليه داخل الدعوة من خلال الخط الفكري؛ عملاً بحقيقة (يُعرَف الرجال بالحق، ولا يُعرَف الحق بالرجال)، و(اعرف الحق تعرف أهله)، وهو ما يعطي الدعوة ضماناً لسلامة البناء، ويصونها من التحيّز الشخصيّ الذي يحول دون استمرارها بالحيوية والوعي المتميزين، كما يجعلها مسيرة تواصل وحركة تجديد حتى إذا تعرّض بعض رجالها للتوقف لأي سبب من الأسباب، أو مراوحة بالنمو الفردي لأيّ منهم.

مع هذا التأكيد على فكر الدعوة، وخطها لم يفرّط الحزب برجالاته، ولم يهوّن من حقيقة التصدّي والمتصدّين، لما لهم من دور فاعل وأساس في حمل المسؤولية وتجسيد الخط والمفاهيم الإسلامية في داخل الحزب وخارجه، وهو ما يجعلها تنظر إلى أصحاب الكفاءات بكل تقدير واحترام، كما تهيب بأبنائها الدعاة أن يقتدوا بهم في مقام الأداء الكفوء والتضحية والإيثار، وهي على يقين من أن الدعاة حين ينظرون بوعي إلى أي مسؤول في الدعوة من خلال خطها فإنه سيحتل موقعه المناسب مع صحة سيرته في نفوسهم، كما أنه سيصحّح ما قد يتعرض له من أخطاء بفضل نظرتهم الواعية، وبفعل ما يتوسّم به من روحية إيمانية عالية تؤهّله لتقبّل النقد والتقويم من أي إنسان كان، ومع افتراض إصراره على الخطأ أو الخطيئة - لا سمح الله - وفي أي موقع من مواقع المسؤولية فإنه سيصغر في نظرهم، وتبقى الدعوة على الرغم من تلك كبيرة كما كانت من دون أن ينجرف وراءه من موقع الضعف، أو ينفصل عنه وعن الدعوة؛ لأنه اختزل الدعوة كلها به.

كما يبقى المعيار التربويّ هو الحاكم في تقييم الدعاة من دون أن تأسرهم المقاييس المادية - من الانتساب العائليّ، أو الانتماء الطبقيّ، أو الانحدار القوميّ، أو الاختصاص الأكاديميّ، أو الفارق الزمنيّ في العمر، أو الإقامة المناطقية، وحتى السبق الانتمائيّ للحزب - ما لم يكن لأي من هذه الفوارق انعكاسات تربوية عملية على سلوك الداعية من الناحية الموضوعية.

عراق المستقبل

الواقع العراقي زاخر بالتنوّع على المستوى المذهبيّ، والدينيّ، والقوميّ، والسياسيّ من حيث التكوين، أما من حيث التضحية فقد طالت يد الجريمة كل فصائل الشعب

العراقي من دون استثناء؛ لأنها عبّرت بصدق وشجاعة عن رفضها للنظام، وقبل كل ذلك فإن الحق الإنسانيّ من وجهة نظر إسلامية مُصان لكل أبناء المجتمع بالنحو الذي يحفظ لهم كرامتهم في الحياة والتعبير عن رأيهم، كما إن من مسؤوليتهم المساهمة في بناء البلد؛ لذا وضعت الدعوة نظريتها في العمل السياسي من دون أن تجد غضاضة في التعامل على مستوى المعارضة، وكذا على مستوى الحكم مع كل هذه الشرائح، بل تجد نفسها مسؤولة عن حفظ الأمانة في تحقيق العدل، وتوفير كل ما من شأنه صيانة الحرية، واحترام حقوق الإنسان، ورفع كل صور الحيف التي صُبّت على أبناء شعبنا المظلوم، والعمل على إظهار الشعب العراقيّ بالمظهر الحضاريّ اللائق، كما تعتقد الدعوة الإسلامية أن الظروف الراهنة التي عقبت سقوط النظام الوحشي المتخلف تتطلب أن تضع في صدر أولوياتها الأهداف التالية:

1. إعادة الأمن والاستقرار، وقطع دابر الجرائم من القتل والسرقة والتصديع بأمن المواطنين، واجتثاث بُؤَر الرعب التي تخلّ بأمن المواطنين، والعمل بأقصى سرعة على إشاعة القضاء، وإحلال العدل والأمن والاستقرار.
2. الاهتمام بشكل استثنائيّ وفوريّ بموضوع السجناء، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من داخل السجون المُخيفة تحت الأرض أو المطمورة تحت الأنقاض.
3. توفير المواد الضرورية التي تهمّ المواطنين، وتحفظ سلامتهم، وجعلها في متناول أيديهم من الغذاء والدواء والضروريات الأخرى كالماء والكهرباء والغاز والنقل والاتصالات الهاتفية والإنترنت وغيرها.
4. العمل على إعادة الموظفين والعاملين إلى مجالات عملهم في المؤسسات؛ لبث روح الحياة في مرافق الدولة كافة.
5. إتاحة الفرص لكل العراقيين للعمل، وترويج فرص الاستثمار التي تتولى معالجة البطالة ورفع مستوى الإنتاج.
6. إلغاء القوانين الشاذة التي اتـُخِذت في مرحلة النظام السابق؛ مما أنزل الحيف بحق الأبرياء، والحكم عليهم بالموت ظلماً ولأتفه الأسباب.
7. إتاحة الفرص لأصحاب القدرات من العراقيين من دون تمييز؛ للمساهمة في بناء العراق الواعد.
8. الاهتمام بالحقل التعليميّ والجامعات والمعاهد والمرافق الفكرية والمعرفية كافة، وإتاحة الفرص للطلاب للانخراط في المجالات العلمية؛ لبناء العراق على أسس حضارية متطوّرة.
9. العمل على إنهاء فترة وجود القوات الأجنبية مهما كانت المبرّرات، وإحلال القوى الوطنية العراقية محلها.
10. المباشرة في تأسيس البيئة السياسية التي تتيح الفرص لأصحاب الكفاءات السياسية في المساهمة بتشكيل الآليات الفاعلة، كحكومة مؤقتة تعبّر بصدق وجدارة عن إرادة شعبنا في الحاضر والمستقبل، وتعمل من أجل إيجاد المناخ السياسيّ الذي من شأنه إتاحة الفرصة لكل أبناء الشعب لممارسة عملية الانتخاب الحر للسلطات الثلاث (القضائية والتشريعية والتنفيذية)، وصناعة مستقبل العراق السياسيّ.

11. إتاحة الفرص الإعلامية لكل العراقيين أن يمارسوا دورهم في التقويم والتسديد لبناء العراق الجديد.
12. التدقيق في سجلات الشهداء الذين أعدمهم صدام المجرم، ومحاولة التعرّف إلى أماكن سكن ذويهم، وإبداء المساعدات اللازمة، وتخصيص رواتب شهرية لهم؛ محاولة للتخفيف من معاناتهم، ورفع الغبن الذي أصابهم جراء السياسة العدوانية لصدام، وإشعارهم بمكانة الشهداء الذين ضحَّوا من أجل تحرير العراق من دكتاتورية صدام، وما يحتلونه في سُلَّم أولويات أي نظام وطنيّ مخلص يتصدّى للحكم.
13. بذل أقصى الجهود من أجل معالجة الآثار الوخيمة التي خلفتها الإجراءات القمعية الصدامية بحق أبناء شعبنا المظلوم، وما تركت من آثار على مئات الآلاف من العوائل المتضرّرة من الأرامل والأيتام والمعوّقين، بسبب جرائم الإعدام والسجن والتشريد.
14. استنهاض الدول الخيرة بدءاً بدول الجوار الجغرافي، وبقية دول العالمين العربي والإسلامي، وكذا دول العالم الأخرى؛ لتقف إلى جانب محنة شعبنا، وتقديم يد الدعم والتعاون لتجاوز محنته على المستويات كافة.

إن الدكتاتورية بأبشع صورها على يد صدام أشاعت الموت والرعب في صفوف كل المواطنين من دون استثناء؛ مما جعل العراق كله يكتوي بنارها، ويدفع ثمنها، ولا يمكن أن يلبّي طموح الشعب العراقي غير اعتماد نظام تعدّديّ دستوريّ يعتمد الانتخابات الحرة المبنية على أساس الديمقراطية، وما يمكن أن يقرّره من نظام الفدراليات ضمن وحدة العراق باعتماد الآليات الديمقراطية في تحديد السلطات الثلاث، وإقرار حقّ المواطنة للعراقيين كافة من دون تمييز قوميّ أو طائفيّ، كما يعمل كل ما في وسعه على إعادة الكرامة الإنسانية إلى كل أبناء العراق بعد ما تعرضت إلى أبشع صورة من الهدر والارتهان، ويفتح باب التسابق الحر والشريف لكل المواطنين؛ لتحقيق ما يصبو إليه شعبنا من العزة والخير والازدهار، وإن رائد النظام البديل هو توفير الحرية للمواطنين وحماية حقوق الإنسان من أي نوع من أنواع الانتهاك.

الدعوة ودول الجوار الجغرافي

تنظر الدعوة إلى دول العالم عامة، ودول العالمين الإسلامي والعربي خاصة، ودول الجوار الجغرافي بنحو أخصّ نظرة تقدير واحترام، وتتطلع إلى توطيد العلاقة معها على أكثر من صعيد، ويدفعها في ذلك طبيعة المشتركات الدينية واللغة والجوار والمصالح المتبادلة والتواشج الاجتماعي بين شعوبها والأخطار المشتركة التي تهدّدها، وهي في الوقت الذي تؤكّد فيه على أهمية تطويرها فضلاً عن الحفاظ عليها تؤكد في ذلك الوقت على أهمية حفظ السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق، ولكل من تلك

البلدان. إنها تشعر أن العراق يمكن أن يلعب دوراً مهماً في إرساء الأمن والاستقرار في المنطقة، وإلغاء الحالة الاستثنائية التي أوجدها النظام المقبور، والتي وتّرت العلاقة مع دول المنطقة كافة، وعرّضت أمنها وسيادتها للانتهاك في أكثر من مرة، ولن ينسى شعبنا من وقف إلى جانبه في ظروف المحنة، وساهم في دعم حركته السياسية ضد طاغية بغداد، أو مدّ يد العون في الظروف الاستثنائية التي مرّت به، كما تنظر بعين الاستنكار إلى ما حلّ بالدول المجاورة كجمهورية إيران الإسلامية والكويت والمملكة العربية السعودية في الحربين العدوانيتين اللتين شنهما صدام عليها كجزء من طبيعته العدوانية التي مارسها ضد أبناء شعبنا سواء في الحروب المحلية ضد إخواننا الكرد، أو ممارسات القمع لسلسلة الانتفاضات التي اندلعت في وسط العراق وجنوبه، ثم عمّت العراق كله.

الدعوة والمنظمات الدولية

تنظر الدعوة إلى الإنسانية على أنها أسرة واحدة، وتعمل على إسعادها ورفع الشقاء عنها، وإفشاء العدالة في ربوعها، وبذل الجهود من أجل تسييد القوانين والقيم الحقة في كل المجتمعات، وتلتزم المواثيق والاتفاقات الدولية التي تحفظ للبشرية حقها الطبيعي في الحياة، وتنأى بها عن مهاوي أخطار الحروب والمجاعة والأزمات، وتعتقد أن الحكومات التي تمثل شعوبها في أروقة الأمم المتحدة والمنظمات الأخرى كافة لابد أن تكون نابعة من صميم إرادتها، ومن ثم تفي بالتزامات البلدان التي تتحدث باسمها، أما الأنظمة الدكتاتورية التي تفرض على الشعوب، وتصب نار قمعها ووحشيتها على الناس فهي لم تكن فقط لا تمثل الشعوب إنما تقف في الجانب المعادي لها والذي يعني بالضرورة أن تلك الحكومات لا تمت بصلة التمثيل، ولا تملك حق تحميل بلدانها أوزار ما ترتكب من جرائم سواء أكانت تلك الجرائم والتجاوزات ذات طابع إنساني، أو سياسي، أو مالي، والذي كان الشعب هو الضحية الأولى لها ولسائر انتهاكات النظام.

أما ما ترك النظام من مخلفات العقود والالتزامات مع بعض الدول فإننا نعتقد أنها تعتمد على طبيعة الاتفاق، وبالاتجاه الذي صبت فيه، فمنها ما يلزم النظام الشعبي الجديد؛ لأنها دخلت في صميم مصلحة الشعب مثل القروض ذات الطابع الاقتصادي العام الداعم، أو توفير الأدوية والمواد الضرورية الأخرى، ومنها ما يتعلق ببعض صفقات التصنيع؛ مما يستدعي إعادة تقييم، أما القروض التي ساهمت في تجهيز النظام بالمعدات العدوانية التي كرّست العدوان، ونشرت الدمار في العراق والعالم فهي مما لا يتحمل شعبنا تبعاتها.

إن شعبنا العراقي الأبيّ قد عبّر في أكثر من مناسبة عن رفضه للنظام المقبور، وحذر العالم من مغبّة الانجرار وراء سياساته الإجرامية التي كلفت العراق أفدح الخسائر من الناحية الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية، وقد قدّم على طريق الرفض هذا ملايين الضحايا من خيرة أبنائه، وكان العالم

على الصعيدين الإقليمي والدولي سادراً في سُباة الغفلة عما يجري في العراق، حتى بدأت تتكشف الكثير من تلك الجرائم التي أذهلت البشرية جمعاء؛ مما يستدعي أن تراجع هذه المنظمات كل ما صدر منها من تأييد ودعم للنظام المقبور من جانب، ولا تحمّل شعبنا البريء أوزار الخطايا والانتهاكات الصدامية من الجانب الآخر.
تنظر الدعوة إلى كل من منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية على أنهما أطاران يمكن أن تساهما في تقوية البلدان الإسلامية والعربية لما فيه خير الأمتين الإسلامية والعربية؛ ومن ثم إرساء الأمن والازدهار في العالم كله نظراً لأهمية دورهما في العالم كله، من هنا نعتقد أن الشعب العراقي عانى من المنظمتين معاً؛ لأنهما أغفلتا معاناة الشعب، وساهمتا في تقوية النظام الدكتاتوري البائد؛ مما عمّق معاناته الإنسانية، وساهم في نشر ظل المآسي على بلدانهم كذلك.

القوات المسلحة

كل بلد من البلدان يحتاج إلى قوة مسلحة تردّ عنه غائلة العدوان، وتحمي حدوده، وتصون سيادته من دون أن يتحوّل ذلك الجيش إلى أداة قمع للشعب من أجل السلطان أو جهاز إخماد للتحرّك الجماهيري الرافض للممارسات الدكتاتورية، فيشعل حرباً محلية في هذه المنطقة أو تلك، كما لا ينبغي أن يشن الجيش حرباً على دول الجوار الجغرافي؛ ليعبث بأمنها، ويمسّ سيادتها.
يُشكَّل الجيش من طبقات المجتمع بكل تلويناته ومذاهبه واتجاهاته السياسية من دون أن يتحوّل إلى حالة تكريس للتمييز الطائفي أو القومي أو المنطاقي، وأن يكون مستقلاً في مواقفه من الناحية السياسية، ولا يخضع لأي قوة من القوى، ويرعى مصلحة البلد والذود عن حماه.

العراق والثروة الاقتصادية

لا يخفى على أحد من المهتمين في الشأن العراقي ما أنعم الله – تعالى- على العراق من ثروة اقتصادية هائلة تفوق حاجات شعبنا فجعلته في مصاف الدولة الغنية إن لم يكن من الدول الأغنى، لكن الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق عامة والحكومة الصدامية خاصة قد عملت بسبب سياسة التخبّط الاقتصادية في موارد التصنيع والتصدير والاستيراد من جانب، وفي مجال الموازنات المالية التي أعطت التسليح العسكري، وتجهيز أنظمة المخابرات والاستخبارات العسكرية ودوائر الأمن والأمن الخاص والحرس الجمهوري والأجهزة الأخرى من الامتيازات السخيّة التي تفوق التصور من جانب آخر؛ مما أودى بالمواطن العراقي إلى أن يعيش الفقر على الرغم من توافر كل النعم، ومن هنا فإن الدعوة تتبنى تحرير الثروة الاقتصادية، وإخضاع الموارد النفطية والزراعية، وتوظيف السياحة في تحسين الحالة المعاشية، ورفع القدرة الشرائية للمواطن العراقي، كما تعمل على تحسين الحالة الصحية

والخدمات لكل ما يخدم الشعب، ويساهم في إرساء استقراره الاقتصادي، ويعالج التركة الثقيلة التي يعاني منها شعبنا، وما ينوء به جراءها من الفاقة والعوز وتدهور الحالة المعيشية.

مخلفات النظام البائد

إن سقوط النظام الوحشي كلف العراق الكثير من الناحية المادية والبشرية والمعنوية، ولابد من بذل أقصى الجهود لرأب صدع الخسائر، وإعادة بناء الاقتصاد، وإعمار العراق، وتلافي ما لحق به من أضرار؛ مما يتطلب حشد الطاقات العراقية الخيرة وتوظيف كل الإمكانات؛ حتى يتسنى للعراق النهوض والارتقاء إلى مصاف الدول المتقدمة التي تعكس موروثها الحضاري وإمكاناتها الاقتصادية.

لما كانت من مخلفات العهد الدموي ملايين الأيتام والأرامل وملايين المتضرّرين ممن عصفت بهم رياح البطالة والتقاعد فلامناص من إعطاء الأولوية في مجال الدعم المادي، وإنعاش الحالة المعاشية لهم، ومحاولة إيقاف ظاهرة التداعي التي انتابتهم خطوة على طريق الارتقاء بهم إلى مستوى الحياة الكريمة.

نظرتنا إلى الزراعة

من معالم العراق كونه بلد النهرين، وما أضفى عليه ذلك من ثروة زراعية طائلة غطت أرضه بنخيلها الباسق وأنواع الأشجار؛ مما جعله موسوماً بأرض السواد، لكن يد الإهمال والتخلف التي طالته طيلة الفترة المنصرمة جعلته في تراجع مستمر إلى الدرجة التي عمّه الجفاف، واتسعت معه ظاهرة التصحّر فأدى إلى انخفاض الإنتاج الزراعي بشكل مذهل.

هذا الأمر يتطلب عملاً دؤوباً لرفع عوامل انخفاض منسوب المياه، وتطوير شبكة انتشارها بالشكل الذي يؤمّن توزيعها على عموم الأرض، ويتكفل رفع الإنتاج الزراعي إلى مستوى يضاهي الدول الزراعية المتقدمة، وبذل أقصى الجهود من أجل توفير عوامل النهوض الزراعي من استصلاح الأرض إلى اعتماد الآليات المتطورة إلى توظيف الأخصائيين الزراعيين وتبادل الخبرات الزراعية مع دول العالم وتطوير الإنتاج الزراعي على ضوء النظريات العلمية في هذا الحقل.

إعادة النظر في الأرض التي تم تمليكها، والاستيلاء عليها من قبل النظام السابق، والنظر في إعادتها إلى المالكين الشرعيين، وتوفير المستلزمات التي من شأنها الارتقاء بالإنتاج الزراعي إلى مستوى ما يطمح إليه شعبنا العراقي.

تطـوير المنـاهج الزراعيـة فـي الجامعـات العراقيـة لمواكبـة الإمكانـات الزراعيـة، وتعزيزها من حيث الإنتاج الكمّي والتحسين النوعي، ورعاية الاختصاصات الفنية العراقية، واعتماد الهيكلية النقابية لدعم القطاع الزراعي.

نظرتنا إلى الصناعة

تـشجيع الإنتـاج الـوطنيّ العراقـيّ، وإطـلاق العنـان للاسـتثمارات العراقيـة، وتـوفير المُناخـات الـصناعية التـي تتكفل تطـوير القدرة الإنتاجية بمـا يتناسب والمـواد الخـام المتـوافرة فـي البلـد مـن خـلال الجامعـات العلميـة، والانفتـاح علـى تجـارب العـالم الصناعي بإرسال البعثات وتهيئـة عوامل النهوض الـصناعي لمـا يجعل العراق فـي مصافّ الدول المتقدمة.

اعتماد آليات التنافس الوطني مع الصناعات الأجنبية، والبدء بفتح أبـواب الاستثمار، ومـنح الـرُخَص لأبنـاء العـراق، وإزالـة عوامـل التعويـق التـي فـُرِضت فـي الفتـرة السابقة، وكذلك معالجة عوامل التمييز بين المواطنين، ودعم مشاريع التصنيع، كمـا لابـد مـن اسـتقطاب الإمكانـات العراقيـة المهـاجرة بـسبب الظـروف الاسـتثنائية التـي فرضـها النظام، وتوفير كل المُناخات المشجّعة لتوظيفها في التطوير الصناعي.

الحقل الطبي

لابـد مـن رفـع مـستوى الخـدمات الطبيـة لمـا يتجـاوز بالرعايـة الطبيـة العراقيـة مـن المـستوى العلاجـي إلـى المـستوى الوقـائي، واعتمـاد خطـة عمـل بعيـدة الأمـد تتكفـل تحقيق الأهداف المرجوة على هذا الصعيد من خلال الخطط التي تتكفل القضاء على الأوبئة المَرَضيّة، ورفع مستوى الصحة العامة.

تـوفير التـأمين الـصحي الـذي يتكفـل سـد حاجـات المـواطنين مـن الناحيـة الـصحية، وتغطيـة كـل منـاطق العـراق بالخـدمات لتـشمل منـاطق الريـف كافـة، ورفـع مـستوى الأداء الصحي لما يتجاوز عوامل التخلف التـي مُنِـي بهـا البلـد جـراء سياسـة التخبُّط والمحاباة.

إيلاء المعوّقين والأطفال وكبار السن رعاية خاصـة، وتـوفير كـل الخـدمات التـي مـن شأنها تحسين ظروفهم الصحية، ورفع عوامل الإهمال، وإيقاف التداعيات الحادة فـي هذا الحقل، ومدّ شبكات الخدمـة الطبيـة إلـى كـل منـاطق العـراق خـصوصاً تلـك التـي عانـت مـن تفشّي الأمـراض المـستوطنة، والإهمـال فـي الخـدمات، ومكافحـة عوامـل التداعي التي عمّقت المآسي لدى المواطنين.

العمل على توفير المُناخ العلمي في الحقل الطبيّ، والارتقاء إلى المستوى الذي كـان عليه العراق في فترة ما قبل التداعيات الأخيرة، وتخريج أكبـر عـدد ممكـن مـن ذوي

المهن الطبية والصحية؛ لسد حاجات البلد، والانفتاح على الجامعات والمعاهد العالمية التي تساهم في تطوير الخبرات الطبية العراقية.

رعاية القطاعات الطبية الخاصة التي تعمل إلى جانب القطاع العام في تحسين وتطوير المستوى الصحي المطلوب، وتشجيع الطاقات الطبية العراقية على العودة إلى العراق بعد الظروف الاستثنائية التي ألمّت به، ومنح الراغبين منهم حق العمل والاستثمار الخاص.

النظرة إلى الجامعات والمؤسسات التعليمية

أروقة العلم والمعرفة يُتفرَض أن تُصان من كل انتهاك ينافي الحقائق العلمية والاستدلال الموضوعي، وبعد ما تعرّض له حرم العلم من تجاوز الحكم الصدامي في عسكرة أجهزة الجامعة، أو التبعيث فقد كان من الضروري العمل على إعادة هذه المؤسسات إلى مهمتها الطبيعية في التجرّد العلمي عن كل نزعات التسييس والتعسكر، وكل ذلك من أجل إعادة الجامعات إلى سابق عهدها من المستوى العلمي الرفيع، واسترجاع رصيدها المفقود في مجال تخريج مختلف حقول الاختصاص.

كما أن الحرم الجامعي يجب أن يبقى بعيداً عن كل ممارسة عسكرية، أو أمنية تخلّ بصدقية أمنه واستقراره، ولا ينبغي أن تُطبَع الأجواء الجامعية بطابع الاحتكار لإعلام الحاكم، أو الاحتواء في هياكل أجهزة التجسّس، أو الابتزاز في إقحام الطلاب والطالبات في تنظيم السلطة، أو الحزب المتسلط، ولا تشويه الحركة الطلابية باستفراغ مضامين الدور الإنسانيّ المطلوب في المجالات السياسية والاجتماعية.

الدعوة والإرهاب

الإرهاب أياً كان تعريفه: استخدام العنف – غير القانوني - (أو التهديد به) بأشكاله المختلفة كالاغتيال، والتشويه، والتعذيب، والتخريب، والنسف؛ بغية تحقيق هدف سياسي معيّن مثل كسر روح المقاومة..."[13] فهو فعل مقرون بفزع الإنسان، فرداً كان أم مجموعة؛ لأسباب عسكرية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو فكرية، أو أي سبب آخر، وهو ما يجرّ على الناس البؤس والشقاء، وظاهرة الإرهاب قديمة قدم حياة الإنسان الاجتماعية الملازمة للتكاثر المقترن بتضارب المصالح مع غياب السبل الحضارية لفك الاشتباك، والنزاع الحاصل من ذلك، وانتشار الفوضى طبع المسيرة البشرية في أكثر من مقطع من مقاطعها التاريخية، وليس اعتباطاً أن يكون اسم الإسلام مشتقاً من السلم، وهو ما يقابل مفهوم الإرهاب، كما أن التحيّة في الإسلام

[13] عبد الوهاب الكيالي – موسوعة السياسة، الجزء الأول، ص153.

(السلام عليكم) هو آلة الاستفتاح التي يبدأ بها المسلم كل من يلتقيه، كتابة أو مشافهة، مباشرة أو بالواسطة، من أقرب المُقرَّبين إلى أبعدهم.

الاجتماع الإسلامي يتسع لكل شيء ماخلا الحرب، فإنها لا تملك ما يبرّرها في الإسلام مادام المسلمون يملكون أن يتعايشوا مع من يختلفون معه، ويصبروا على من يضادّهم بالرأي، ويناصبهم العداء، وحين يضطرون إليها فهم لا يخرجون عن أحكام الشريعة في الحرب من الاقتصار على من يبدأهم بها، وتجنُّب الأبرياء، وعدم ملاحقة المُدبر، وعدم الإجهاز على الجريح، وعدم إتلاف الزرع ... إلخ.

كيف نفهم الإرهاب؟

نفهم الإرهاب على أنه عملية أجنبية عن الطبع البشري السويّ، ولا يرضيها أي إنسان، بل يحكم عليها بأنها خروج عن الجبلّة الإنسانية، وهي غير محدّدة بقومية معيّنة، أو بلد ما وقد أجمعت على رفضها كل الديانات والأنظمة الاجتماعية، ومثلما يكون للإرهاب هويته الخاصة التي لا تتحدّد بدين أو جنس أو بلد أو شعب معيّن فإن ضحايا الإرهاب كذلك ليسوا محدّدين بهوية معيّنة يسعهم مفهوم (ضحايا الإرهاب)، ويشملهم كل ما يقع عليهم من ضرره، ويترتب على حياتهم وأمنهم واقتصادهم من استحقاقات تنتج عنه، وهذا يستدعي بالضرورة مواجهة الإرهاب ومعاقبة الإرهابي أياً كان، والانتصار للمتضرّرين من الإرهاب من دون اقتصار على طرف متضرّر معيّن، فمن غير المعقول أن تقتصر الإدانة على الإرهاب إذا صدر عن شخصية عُدَّت من بلد أو دين معيّن، لكن الإرهاب لا يُعَد إرهاباً إذا صدر عن بلد أو دين آخر، كما إن من المستنكر أن يسكت عن كل ما اقترفته أيادي الإرهابيين بحق العراقيين.

إن مفهوم الإرهاب يختلف عن مفهوم المقاومة التي يضطر لها أي شعب حين يتعرّض بلده للاحتلال وحرمته للانتهاك، كما لابد من التمييز بين مفهوم الإرهاب عن مفهوم الثورة التي تعني استعمال العنف من أجل تغيير السلطة المفروضة عليه، بعد استنفاد كل السبل السلمية، وهو ما يفسّر حركات المقاومة في العالم، ومسلسل الثورات التي مرّت بها كل بلدانه للحفاظ على سيادتها، وتحرير ثرواتها من الهيمنة الأجنبية، ومثلما يعتبر الإرهاب سلوكاً شاذاً ومرفوضاً في كل المعايير فإن الحرب ومهما تكون دوافعها حالة استثنائية، لا يسمح بإدامتها نظراً لما يترتب عليها من مآسٍ وويلات.

الدعوة والعمل النقابي

تلعب النقابات والمؤسسات المهنية دوراً مهماً في بناء العراق، وإعانته في تجاوز المحنة التي يمرّ بها من خلال توظيف طاقات المنتسبين لها، ومن خلال حركة النقابات كلها، وهي لاشك ظهير قوي للسلطة التنفيذية التي يختارها الشعب، وتعمل في مجال اختصاصها لسد احتياجات أبناء شعبنا في الحقول المختلفة.

إن حرية العمل النقابي، وجعله بعيداً عن ضغط السلطة أياً كانت، وحمله على الوفاء بالتزاماته المهنية والسياسية يجعل منه أداة لدفعهم للتفاني لخدمة الشعب.

الدور المزدوج للنقابات بالاتجاه النقابي الحقلي الساعي إلى تحسين الظروف المعاشية والعمل من جانب، وتسديد الحكومة وحملها على الوفاء بالتزاماتها تجاه الشعب من الجانب الآخر مهام أساسية في العمل النقابي.

الفنون والرياضة والآداب

لكل أمة من الأمم تراثها الزاخر بالفنون والآداب والأعراف التي تستوحيها من قيمها ومعتقداتها، وقد لعب كل من الفن والرياضة والأدب دوراً مهماً في تعميق الإحساس الوطني، والتثقيف وتقوية الشباب، وتأهيلهم لبناء البلد، وإبعادهم عن الأجواء الموبوءة بالإدمان والجرائم والتخلف.

والأمة الإسلامية حشّدت الكثير من المفاهيم، والحوافز على تحلّي الشباب بالروح الرياضية، والاهتمام بالسباحة وركوب الخيل وغيرها، كما أن الكثير من المشاهد التراثية الرائعة المخزونة في بطون التاريخ تنتظر من يطلق لها العنان لتأخذ طريقها إلى الإعلام المسموع والمرئي، ولتساهم في تنشئة الجيل، ورفد المسيرة الإنسانية مثلما تدفع بأبنائها إلى الاطلاع على فنون وتراث وثقافة الأمم الأخرى.

الخاتمة

تبقى الدعوة الإسلامية تتعامل على مستوى الأجيال، لا على مستوى الأفراد، وهو ما يعكس نظرتها المعنوية لفهم الحياة، وما يمنحها ذلك من كثرة البذل، وجزالة التضحية من دون ترقبٍّ لجني ثمار آنية؛ مما يربط تاريخها بحاضرها، وحاضرها بمستقبلها، فالدعوة لا تختنق في التقييم بمقطع زمني معيّن، ولا منطقة جغرافية محدَّدة، إنها إطلالة رسالية شاملة على مسار إنسانيّ بعيد يتعاطى مع المقاطع الزمانية والمكانية بواقعية كجزء من حركتها المُوغِلة في التاريخ من حيث انطلق رسول الله (ص)، وإلى حيث يريد لها الله (تعالى) أن تستمرّ، وطبيعة التقييم لمثل هذه المسيرة تتخطى موازين الربح والخسارة الدنيوية التي تمتد، أو تتقلص بموجبها الحركات غير الإسلامية، بينما تجد الحركة الإسلامية نفسها في خط بياني متصاعد

على الرغم من ضراوة المعركة، وصعوبة الطريق، وجزالة التضحيات، كما أنها ليست في معزل عن التطورات الاجتماعية، والتقدّم التقنيّ، والتفاعلات الحضارية التي يشهدها العالم؛ مما يُكسبها حالة من الانفتاح الإيجابي الذي يقترن بالأخذ الواثق والرفض المُبرَّر بعيداً عن عُقدة الجهل والتعصّب.

إن نظرية الدعوة الإسلامية في العمل تنبع من ثوابتها المبدئية، ومراعاتها للمتغيرات الموضوعية من خلال تلك الثوابت، وإن وعي الدعوة الإسلامية للسيرة المطهَّرة بكل ما شهدته من تنوّع في الأدوار بناءً على ما أحاطها من ظروف يمكنها بقدرة الله (تعالى) أن تنظر في كل ظرف من الظروف بما يستحق على ضوء التماثل بين ظرفها، وما مرّ على الأسوة من ظرف، كما تجيد فن التعامل مع ذلك الظرف بما للدعاة حفظهم الله من كفاءة وتفانٍ وإخلاص.

تبقى الغاية الكبرى التي يتوخّاها الدعاة، ودرجوا عليها في التربية الحزبية رصيد نجاحهم في العمل، وسرّ تضحيتهم، ووقود حركتهم على طول الطريق مهما طال، ولولا مثل هذه الغاية المقدسة لم يكن لتلك الكواكب من الشهداء أن تقدّم على ما أقدمت عليه من التضحيات التي تتصاغر أمامها أساطير التضحية، وستبقى صفات التفاني من أجل الإسلام، والذود عن حمى الأمة الإسلامية، ومواصلة المضي في طريق ذات الشوكة آيات هوية، ودلالات عمل حتى بلوغ الأهداف المقدسة.

ومن الله (تبارك وتعالى) نستمد التوفيق.

كُتِب ببغداد في

18/ ربيع الأول /1424هـ

الموافق 2003/5/20م